كتاب

مواجهة الذات و دعوة عامة إلى الجنون

زهير أبو سعد

Zohir Abosad
zohir.abusad@outlook.com

كتاب

مواجهة الذات و دعوة عامة إلى الجنون

زهير أبو سعد

مواجهة الذات و دعوة عامة إلى الجنون

زهير أبو سعد

مواجهة الذات و دعوة عامة إلى الجنون

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the author Zohir Abu Saad.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الكاتب زهير أبو سعد.

مواجهة الذات و دعوة عامة إلى الجنون

عنوان الكتاب: مواجهة الذات و دعوة عامة إلى الجنون

اسم المؤلف: زهير أبو سعد

تصميم الغلاف: زهير أبو سعد

تدقيق لغوي: ا . ع

مقدمة: زهير أبو سعد

الطبعة الأولى 2020 م

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للكاتب زهير أبو سعد

رقم الإيداع: 2020/7625

Literar-Mechana

مواجهة الذات و دعوة عامة إلى الجنون

كتاب

مواجهة الذات ودعوة عامة إلى الجنون

زهير أبو سعد

مواجهة الذات و دعوة عامة إلى الجنون

مقدمة مدقق الكتاب

بيقينٍ واعترافٍ وعلى خَفْقِ قلبٍ، ومن الوقت ثلاثونَ جهة مُنحية، وبالبعدِ عن الوهمِ وبالاندماجِ مع الحقيقةِ تَبدو الأشياءَ أكثرَ تأثيرًا ووضوحًا، تُغادرُ الشُّخوصُ والطُّقوس وتَبقى في أماكنِها، ويَنزلقُ الوهمُ والوَهَنُ وتَسقطُ الأقنعةُ وتَضمُّكَ ورقةٌ على صدرِها الحنونِ كأنَّها الخلاصُ والمنفى، تبًّا لي إذْ إنَّني حشرتُ التَّشبيهَ بينَ الكلماتِ وأردتُ القول: إنَّ الكاتبينَ يَصنعونَ فوقَ الأوراقِ أحداثًا مُهمَّة، نسجُ خيالٍ وتهويلٍ وتعظيمٍ وما كانَ هذا قَصدي أبدًا، فما حلَّ بنا بصراحةٍ هوُ أنَّنا عاجزونَ عن دفعِ الشُّرورِ التي تُصيبنا دائمًا، لأنَّنا ممسوسونَ بها مُذ وُلدنا حدَّ التُّخمة ولأنَّها مطبوعةٌ على ملامحِنا كلَّما كبِرنا، تَمشي مع ساعاتِ النَّهارِ وفي رَدْهةِ اللَّيل وفي كلِّ مكانٍ طريٍّ حولنا وحتَّى عندما يَتدحرجُ النَّبضُ وينسابُ الحرفُ ويسألُ العقل:

كيفَ لنا أن نجعلَ الشُّعورَ بالحياةِ عميقا؟

ونحنُ تائهونَ بينَ خيالٍ وحقيقةٍ وبين يمينٍ ويسارٍ وبداياتٍ ونهاياتٍ وما بينَهما مِن أحداثٍ مُحتدمةٍ بَقيْتَ في نهايتِها وحيدًا، حينَ تتذكَّرُ وحينَ تَنسى وحينَ لا تجدُ أحدًا يسمعُ وحينَ تقفُ أمامكَ عاريًا وصادقًا ومُصرًّا ومتفانيًا في نبشِ داخلكَ لتجعلَ الداخلَ ظاهرًا والظاهرَ داخلًا، ولا أنت قانعٌ ولا سعيدٌ ولا تُشبه أحدًا ولا أحدَ يشبهكَ ولا شيءَ ولا حياةَ تقولُ لك:

جرِّبني

ولأنك عاقلٌ وناضجٌ وصلتَ لمرحلةِ ما بعدَ التَّجريبِ وأسرفتَ ما أسرفتَهُ واختبرتَ ما اختبرتَهُ من أزماتٍ كبيرةٍ وصغيرةٍ ومباشرةٍ وغير مباشرةٍ ومُتوقَّعةٍ وغير مُتوقَّعة، لنْ تصدِّقَها ولن توهمَ نفسكَ مجدَّدا لترضى، بإمكانكَ الرُّجوعُ طبعًا وبإمكانِكَ أن تتَّبع اليمينيينَ أو

اليساريينَ وأنَ تعودَ لما كنتَ عليهِ منْ خيالٍ يرفعكَ على ظهرِ بالونٍ مُنتفخٍ هوَ معرضٌ لأنْ يفقعَ وأنتَ معرضٌ لأنْ تَسقط!

وفي أثناءِ المُواجهة، كلُّ الوهمِ يَسقط، وكلُّ الزِّيف يَسقط، وكلُّ الدَّمع يَسقط، وكلُّ الكلماتِ تسقطُ في مسامعِ القارئينِ وهُم بدورِهم يُسقطون الأحكامَ ويَستمرِّون بالكلام، وتستمر أنتَ هكذا، توقفُ زُحامَ الأوهامِ وتَدافُعَ الأحلامِ وتُقفِلُ على البداياتِ وتُخطِّطُ للنِّهاياتِ حتَّى تصلَ مع الألمِ إلى أوجِهْ وأنتَ تعرفُ أنَّ:

الوصولَ إلى قمَّةِ الألمِ هو وصولٌ إلى قمَّةِ اللَّامبالاة، وإنَّ الإنسانَ حينَ يصلُ إلى قمَّةِ اللَّامبالاةِ ربَّما يَصمتُ وربَّما يَكتبُ وربَّما دعاكَ معهُ إلى الجنون.

ا . ع

مواجهة الذات و دعوة عامة إلى الجنون

مُقدمة الكاتب

جسدُ روائيّ للبيع

سعرُ الليلةِ (194,99) يورو، أنتَ اسمكَ لاجئ، وسوفَ يبقى اسمكَ لاجئًا، أتيتَ من أرضِ الحروبِ والدماءِ والتصفياتِ الطائفيةِ والقوميةِ والعرقيةِ، أحلامُك مرهونةٌ بالقليلِ من الحريةِ والكرامة، إن كانَ لديكَ هدفٌ في الحياةِ سوفَ تحققهُ من بعدِ أن تستهلكَ كلَّ قِواكَ الجسديةِ

والعقلية، وسوفَ تُثبتُ لنفسكَ بأنكَ نجحتَ وأنَّ لديكَ قدرةٌ ولو ضئيلةٌ للتغير، وعندما تصلُ إلى أرضِ الأحلامِ كما يُسميها عشاقُ الديمقراطيةِ عليكَ أن تُتقنَ ثلاثةَ أشياء:

اللغةُ والاندماجُ والالتحاقُ بسوقِ العمل

وهناكَ شرطٌ واحدٌ لكي تحصلَ على هذه الأشياءِ الثلاثة، حتَّى أكونُ معكَ في قمةِ الوضوحِ ألا وهو:

(الابتعادُ الجذريُّ عن العرب)

وعدمُ الاقترابِ منهم حتى ولو كانوا أنبياء، وإذا حاولتَ أن تقتربَ فسوفَ تُقبر كُليا ولن يُنزلوا عليكَ أية وسيلة من وسائلِ الرحمةِ مهما فعلت، طبعًا لا تَستثني منهم أحدًا من سياسيينَ
وإعلاميينَ ومُفكرينَ وأطباءَ ومُدَّعي الشرف والنُّبوة، سوفَ تجدُ بأنهم في معركةٍ دائمةٍ بعضهم مع بعض وشتائمَ
وتُهَمَ ومعاركَ داميةٍ قد تصلُ إلى سُدَّةِ القضاءِ تحتَ تُهَم لا تُسمنُ ولا تُغني من جوع، وبلغةٍ شوارعيةٍ أكثر:

(الشاطر يلي بدو يخرا على الآخر)

عندما تتقنُ الأشياءَ المطلوبة منكَ، أن تتجهَ إلى مكتبِ سوقِ العمل، إذا حالفكَ الحظُّ وكانَ الموظفُ هناكَ من أهلِ البلد، أعتقدُ أنَّ أمَّكَ قد دعتْ لكَ في ليلةِ القدر، - كنايةٌ عن الحظِّ السعيد - وإذا كانَ الموظفُ عربيًّا جديدًا سوفَ ترى نجومَ الظهرِ

وتتمنى لو أنكَ غرقتَ في البحر، ومهما حاولتَ أن تفتحَ نافذةَ أمل، سوفَ يُغلقُ الموظفُ عليكَ كلَّ الأبوابِ حتى ثقوبَ الحياةِ سوفَ يَطأُ عليها بقدمِه ويُجردُكَ من كافةِ حقوقِكَ الإنسانية:

تخيَّل وبعدَ أن تَنتهي من كتابةِ سبعٍ وعشرين روايةً باللغةِ العربية، وروايتينِ باللغةِ الألمانية، وتَطبعُ وتنشرُ ويكونُ لكَ مهمةً في الحياة، بكلِّ سخريةٍ سيقولُ لكَ الموظفُ العربي:

(في مكتبِ العملِ لا يوجدُ مهنة كاتبٍ
وروائي هنا!)

جارتي كاترين تقولُ لي: إنها تعملُ في بيتِ دعارة، واسمُها مسجلٌ في مكتبِ العملِ كمهنة، ولها كل حقوقِها الإنسانيةِ
والقانونيةِ والطبيةِ في البلد، وتعيشُ بحريةٍ تامةٍ ومُرتَّبُها أفضلُ من مُرتَّبِ طبيبٍ في مشفى فيينا، وأما الكاتبُ في هذهِ البلد لا يَحظى بأيِّ حقٍّ من حقوقِه حتى لو حصلَ على جائزةِ نوبل، بالمختصر:

على ما يبدو حانَ الوقتُ لتغييرِ المهنة، من روائيٍّ يُمارسُ مهنةَ الحلمِ إلى رجلٍ يُريدُ بيعَ جسدِه في ملهًى للعُراة،
وأنا ما زلتُ ثابتًا عند نظريَّتي التي تقول:

(لا تلوموا العاهرةَ على بيعِ شرفِها، ولكن عليكُم أن تضعوا اللومَ على المجتمعِ الذي أوصلَها لبيعِ جسدِها لكلِّ جائعٍ جنسيا)

زهير أبو سعد

مواجهة الذات و دعوة عامة إلى الجنون

إهداء..

للكاتب مارك مانسون

مواجهة الذات و دعوة عامة إلى الجنون

1

[الجلوسُ على طاولةِ الحوارِ بينَ الذَّاتِ والعقلِ بطولة]

رأسُ مالِ العُنوانِ طاولةٌ ومقعدانِ وأنتَ

وعقلُكَ فقط، الهروبُ مِنْ واقعيَّةِ الحدَثِ ليسَ بطولةً وليسَ لهُ أيَّةُ نقطةِ وصلٍ بالقوَّة، وعلى سبيلِ المثالِ إذا اجتاحَ الوهمُ خلايا الدِّماغِ فهذا سيؤَدِّي إلى شللٍ في مُعالجةِ الحقيقةِ بطريقةٍ تَعسُّفيَّة

وغير مُطابقةٍ معَ ردودِ أفعالِ الواقع،

تعدُّ الذَّاتُ جُنديًّا مِنْ جنودِ الدِّماغِ

وبحسبِ إفرازِ الدِّماغ تتفاعلُ الذَّاتُ

وتُوجِّهُ رسالةً إلى أعضاءِ الجسمِ فلا يَتحرَّكُ شُعورُ الجسمِ على الأمرِ المُوجَّهِ لهُ مِنَ الذَّات، وعلى حسبِ دراستي البيولوجيَّةِ للذَّاتِ هيَ مفصلٌ أساسيٌّ بينَ

الدِّماغِ والأعضاء، إنَّهُ لغزٌ كبيرٌ لا بدَّ أنْ نُواجهَهُ قبلَ أنْ يَقلِبَ كفَّةَ الجوكِر على ردودِ أفعالِنا أو أنْ يُصدِرَ أمرًا (بكش ملك) خارجَ حدودِ لُعبةِ الواقع، وأهمُّ شيءٍ هوَ معرفةُ الدِّماغِ للتَّوصُّلِ إلى الحلقةِ الثَّانيةِ ألا وهيَ (الذَّات) وأغلبُ الأحيانِ تُنكرِنا ذواتُنا لأنَّ الدِّماغَ يُصدِرُ أوامرَ صارمةً غير مُطابقةٍ لمواصفاتِ الحدَث، الفارقونَ بالرُّوحانيَّةِ يَنقسمونَ إلى قسمينِ وكما الدِّماغ لهُ خيارانِ فالحياةُ أيضًا لها خياران، ليسَ هناكَ خيارٌ واحدٌ أبدًا ولا يُمكنُ تَصوُّرُ ما نفعلُهُ مِنْ رُدودِ أفعالٍ عابرا لخيارٍ واحد، فدماغُنا مُركبٌّ مِنْ تعاليمَ وتجارُب وحشوِ أفكارٍ تَلَقَّاها العقلُ بالوراثة، ومِنْ هُنا تَكوَّنتْ القيمُ وأصبحَ للإنسانِ إيمانٌ مطلقٌ بوجودِ خالقٍ أو بعدمِ وجودِ خالق، فكلُّ مَنْ لديهِ فكرةُ النَّفي أو الإثباتِ هوَ مُؤمن،

ويُمكنكَ أنْ تسألَني:

كيفَ تضعُ الملحدَ والمؤمنَ في خانةٍ واحدة؟

أنا لمْ أضَعْ أحدًا في خانة، البشرُ وعلى حسبِ رؤيتِهم وتجاربِهم وضَعوا عُقولَهم في خانةٍ تُسمَّى (مؤمنٌ بفكرة) إنْ كانتْ فكرَة إلحاديَّة أو غير إلحادية، نحنُ جميعُنا مُتساوونَ بالإيمانِ ألا وهوَ وجودُ الفكرة، فكرةُ أنْ ترفضَ أو أنْ تَنفي وكلُّ فكرةٍ على حسبِ تَجربتِها أو موروثِها الفكري، دعونا نعودُ إلى الدِّماغِ ألا وهوَ مَدفنُ كلّ هذهِ العُقدِ التي تَجرُّ بصاحبِها إما إلى الهلاكِ أو الأمان، هناكَ جزءٌ منَ البشرِ يَعتقدونَ أنَّ فكرتَهم على صوابٍ بينما الطرفُ الآخرُ يَعتقدونَ أنَّ الطَّرفَ الأوَّلَ على باطلٍ ،كلا الطَّرفينِ بنوا فكرتَهم على تجربةٍ واتَّخذوا هذهِ التَّجربةَ إيمانًا ودائرةً صغيرةً تُدعى القِيَم، دماغُنا يَنقسمُ إلى قسمين: يمينٌ ويسار،

أريدُ أنْ أقرِّبَ لكَ الصُّورةَ التي وصلَ إليها العلماءُ مع أنَّ مُحرِّكَ البحثِ ما زالَ ساري المفعولِ وكلُّ بحثٍ يُبطلُ بَحثًا على حسبِ البحثِ الأكثَر عقلانيَّة وواقعيَّة، يقولُ العلماءُ: إنَّ الجانبَ الأيسرَ مصدرُ النَّرجسيَّةِ والتبجُّحِ بالمهاراتِ والرِّياضيَّاتِ والكيماءِ والفيزياء،

وإنَّ الجانبَ الأيمنِ مصدرُ الإبداعِ والخيالِ والعاطفةِ كالرَّسمِ والموسيقى وكتابةِ رواياتِ الفانتازيا، هذا ما وصلَ إليهِ العلماءُ إلى هذهِ اللَّحظة

وما زالَ البحثُ جاريًا، ربُّما العكسُ صحيحٌ ولكنَّ قوَّةُ الدَّليلِ تَنفي ما قَد قيلَ سابقًا وتَهدمُ بحوثًا أخذَتْ الكثيرَ منَ التَّنقيبِ والتَّفتيشِ عن دليلٍ أشَد وضوحًا.

هذا الكتابُ ليسَ لهُ علاقةٌ بالفنتازيا

وتفاهةِ الخيال، هذا بحثُ فصلٍ بينَ النِّصفِ الأيمنِ مِنَ النِّصفِ الأيسرِ للدِّماغ، طبعًا الواقعُ مخجلٌ جدًّا لأنَّ ثمانينَ بالمئةِ منَ البشرِ يَستخدمونَ الجانبَ الأيمنِ المُتطرِّفِ هروبًا منَ الجانبِ الأيسرِ المُعتدلِ والدِّيمقراطي، لقد عشَّشَ الوهمُ والوهَنُ والخوفُ في الجانبِ الأيمنِ لذلكَ تعطَّلَ الجانبُ الأيسر، ومِنْ أسبابِ الهروبِ الخوفُ منَ التجرُّدِ ومِنَ المُواجهة، ولهذا السَّببِ يَخترعونَ الأسبابَ

والكمَّاشاتِ ليُعلِّقوا عليها فشلَهم الذَّريعَ كما نرَى الأزمةَ التَّصارعيَّةَ الجغرافيَّةَ بينَ القارَّات، وسوفَ أقرِّبُ لكَ الصُّورةَ أكثر فلنبدأ:

عندما يقعُ في القارَّةِ الآسيويةِ أيُّ خللِ اقتصاديٍّ وجوديٍّ تذهبُ أصابعُ الاتِّهاماتَ إلى القارةِ الأورُبيَّة، لقد أَوجَدُوا جانيًا قد سببَ لهُمْ هذهِ الكارِثة، همْ توارَثوا الفِكرةَ مِنْ أجدادِهم وهذهِ تُعدُّ آفةً كبيرةً لأنَّ الواقعَ بحاجةٍ إلى مُعالجةِ الخللِ أكثرَ مِنْ مُلاحقةِ الجاني، تَخيَّلْ بأنْ ترَى شَخصًا صدمَتْهُ سيَّارةٌ وهرَبَ الجاني ماذا كنتَ فاعلاً؟

منَ الغباءِ أنْ تُلاحقَ السَّيارةَ وأنْ تترُكَ المَجنيُّ عليهِ يَنزِف، ومنَ العقلانيةِ إسعافُ الضحيَّةِ قبلَ أنْ تُفارقَ الحياة،

ولو جريتَ خلفَ الجاني ولكنْ هرَبَ

واختَفى أثرُهُ سوفَ يَفقدُ المَجنيُّ عليهِ الحياةَ وسوفَ نَخسرُ نجدةَ الضحيَّة

ونَخسرُ العثورَ على الجاني.

وأيضًا القارَّةُ الأوربيَّة لديها ذات العقليَّةِ في مُواجهةِ الخللِ ولكنَّها نجَتْ منهُ بعدَ الحربِ العالميَّةِ الثَّانية، عندما يَحدثُ أيّ خللٍ في السَّاحةِ الأورُبيَّةِ تتَوجَّهُ أصابعُ الاتهامِ إلى القارةِ الأمريكيَّة.

إنَّها دوامةُ أخْذ دورِ الضَّحيةِ بين كلِّ الفئاتِ إنْ كانتْ الفئاتُ قوميَّةً أو طائفيَّةً أو جغرافيَّة، إنَّهُ صراعُ إثباتِ الألمِ ولكنْ مِنْ غيرِ أنْ نَجدَ مضادًّا حيويًّا للألم،

في البدايةِ نحنُ بحاجةٍ إلى طاولةٍ

ومَقعدينِ لمُواجهةِ الذَّاتِ والعقلِ وبعد ذلكَ سوفَ نرى انفعالاتِ الجسدِ وسوفَ أُلقي الضَّوءَ على علماءَ انتحروا قبلَ أنْ يُعطوا لذواتِهم فرصةً للمواجهةِ لأنَّ

المُواجهةَ جهدٌ عقليٌّ يُعرِّي الفردَ مِنْ كلِّ التُّرَّهاتِ والانفعالاتِ التي ورثَها أو أجرى تجربةً عليها وأضحتْ لديهِ دائرةُ قِيمٍ قابلَة لتبديلِها إنْ جاءَتْ فكرةٌ أخرى وهذا ما يَفعلُهُ المُتعقِّل، وأمَّا الفردُ المهزومُ سيَبقى ثابتًا كجذعِ نخلةٍ في وسطِ الصَّحراءِ يُصارعُ زوابعَ الرِّمالِ وحرَّ الخيالِ والوهمِ والوهَن، دعونا نُلقي نظرةً على تاريخِ مَنْ لم يَستطِعْ مواجهةَ ذاتِهِ عبرَ سلسلةٍ في كتابي هذا.

2

[أنتَ بينَ خيارين: إمَّا الانخراطُ في الواقعِ وإمَّا أنْ تُجَهِّزَ مُؤخِّرتكَ لينخرَطَ الواقعُ بك]

إنَّها ليستْ عَمليَّةَ زواجٍ إذا كنتَ على درايةٍ بتفاصيلِ الجِنس، وليسَ سيناريو اغتصابٍ مُحلَّل أو مُحرَّم، وليسَ رابطًا طبيعيًّا بينَ ذكرٍ وأُنثى أو ذكرٍ مع ذكرٍ أو أنثى مع أنثى ولا نظامَ مُجتمعِ الـ Gey الحقيقيِّ الذي أصبحَ مِنَ المحالِ فَصلُهُ في المجتمعاتِ التي تَتغنَّى بالدِّيمقراطيَّة، إنَّهُ الهروبُ منَ الجانبِ الأيمنِ إلى الضفَّةِ الثَّانيةِ منَ الجانبِ الأيسرِ وفرضيَّة معالجةِ الوقائعِ بالزِّيفِ وبقلَّةِ الدِّرايةِ بما سيترتَّبُ على ردَّةِ فعلٍ طبيعيَّةٍ منَ الحقيقة، دعني أوضِّحُ لكَ أنَّ الجانبَ الأيمنَ منَ الدِّماغِ ومع أنَّهُ مُشبعٌ بمتاهاتِ العواطفِ التَّخديريَّة وعلى حسبِ تقديري فإنَّهُ سوفَ يَضعُكَ في فوَّهةِ الموتِ المُبكِّر، طبعًا لا أخفيكَ سرًّا بأنَّهُ سوفَ

يَسوقُكَ بِكُلِّكَ إلى أوَّلِ خطوةٍ منْ خُطواتِ الضَّياع، واقعُكَ يختلفُ جذريًّا عن رغباتِكَ الحقيقيَّةِ فأنتَ في صدامٍ دائمٍ مع الذَّاتِ والواقعِ والكومبارسِ المُدَّعي بالحرصِ عليكَ كما تَظُن، ومهما حاولتَ التَّحرُّرَ سوفَ تأتيكَ موجةٌ جنونيَّةٌ ومفصليَّةٌ وهزليَّةٌ مِنْ فوَّهتينِ ألا وَهُما: فوَّهةُ دماغِكَ الأيسرِ الذي يُحاولُ جاهدًا أنْ يَجرَّكَ إليه. وفوَّهةُ فوضى البشرِ التي تُعارضُ أفكارِكَ وتُحاولُ ترميمَها كي تتماشى مع نظريَّةِ المجتمع. بكلِّ بساطةٍ أهلًا وسهلًا بكَ في كوكبِ المُتناقضات.

عليكَ أنْ تَستعدَّ لمعركةٍ مع الجهةِ اليُسرى لدِماغِكَ وكلِّ الأفكارِ مِنْ حولكَ مِنْ أناسٍ تَعرفُهم أو لا تَعرفُهم وعلى الأغلبِ بأنَّكَ ستكونُ الخاسرَ الأكبرَ في هذهِ المُواجهةِ لأنَّكَ ستفقدُ نفسكَ وأنتَ تُحاولُ إرضاءَ الآخرين، وإذا امتلكتَ القوَّةَ لمواجهةِ نفسكَ ورميِ رأي الآخرينَ خلفَ ظهركَ فستَخسرُ جميعَ مَنْ أحبَّكَ وكرهكَ وستبقى وحيدًا صريعًا تُجابُهُ الذَّاتَ التي

أوصلَتْكَ إلى هذا الحال، الأمرُ بحاجةٍ إلى سياسةِ التَّقنُّعِ بالدِّيمقراطيَّةِ كما تَفعلُ أمريكا مع العالم، تتَّبعُ سياسةَ إرضاءِ جميعِ الأطرافِ للبقاءِ في عينِ حلفائِها وفرضِ سُلطتِها على العالمِ بالسِّلاحِ والقوَّة، ولم أجِدْ قُوَّةً كما جاءَ في تاريخ م2018/08/28

هل تريدُ أنْ تعرفَ الحقيقة؟

ليستْ الحقيقةُ روايةً مِن نَسجِ الخيال، إنَّها قصَّةٌ حقيقيَّةٌ ومُعنوَنةٌ بالقلمِ العريضِ كما يلي:

(صبيٌّ في التَّاسعةِ يَنتحرُ بعدَ تَعرُّضهِ للمضايقةِ بسببِ مِثليَّتهِ الجنسيَّة)

بقلم: Samer Ajouri

كلُّ ما في الأمرِ ومِنَ البدايةِ أخبرَ أهلَهُ بالحقيقةِ التي تَقول:

لم تَعرِفْ "ليا بيرس" حينَ أخبرَها ابنُها ذو التِّسعِ سنواتٍ عن رغبَتهِ بالإفصاحِ عن مُيولهِ الجنسيَّةِ المثليَّةِ في المدرسة، بأنَّ تلكَ الرَّغبةَ ستقودُهُ للانتحار.

"جمال مايلز" أفضى إلى والدتِهِ حينَ كانتْ تقودُ سيَّارتَها مِنَ المدرسةِ بشعورهِ بأنَّه مِثليُّ الجنس، وكانَ ردُّ الأمِّ طبيعيًّا حيثُ أخبرَتْ ابنها الخائفَ أنَّها ما زالتْ تُحبُّه، وصارحَها بأنَّهُ مِثليُّ الجنسِ وأنَّهُ يُفضِّلُ ارتداءَ ثِياب الفتَيات. وبعد مُدةٍ وجيزةٍ أخبرَها أيضًا أنَّهُ سيُخبرُ أصدقاءَهُ في المدرسةِ بذلك.

وفي يومِ الخميس، بعدَ أربعةِ أيَّامٍ فقط مِنْ بدءِ مَرحلتهِ الدِّراسيَّةِ في الصفِّ الرَّابعِ في مدرسةِ "جو شوميكر" الابتدائيةِ في ولايةِ كولورادو ماتَ مايلز!

وفي مُقابلةٍ مع إحدى القنواتِ المحليَّةِ قالتْ بيرس: إنَّ ابنها تعرَّضَ للتنمُّرِ منْ قبلِ أقرانهِ في المدرسةِ لأنَّهُ مثليُّ الجنس، وأنَّهُ قالَ لشقيقتِهِ بأنَّ زملاءَهُ أخبروهُ بأنْ يَنتحِرَ لهذا السَّبب، وهوَ ما دفعَهُ للانتحار.

وأرسلَتْ مدارسُ دينفر العامَّة يومَ الاثنينِ رسائلًا إلى أهالي الطُّلابِ ودَعَتهم للقاءِ عاملينَ اجتماعيينَ ومُستشارينَ متخصِّصين، حيثُ التقوا معَ التلاميذِ والموظَّفين في المدرسةِ للتكلُّمِ عن الحادثة.

بينَ التنمُّرِ ورُهابِ المِثليَّةِ

في تقريرٍ لمؤسَّسةِ "ترو تشايلد" الأمريكيةِ

وَجدَ باحثونَ أنَّ التنمُّرَ في المدارسِ المتوسَّطةِ وإخفاءَ الميولِ المِثليَّةِ مرتبطانِ بطريقةٍ وثيقةٍ بالتَّقاليدِ الاجتماعيَّةِ المُتعلِّقةِ بالهويةِ الجنسيَّة. حيثُ يُستَهدفُ

الصِّبيَةُ بحجَّةِ أنَّهم غير مَلائمينَ مع الأطرِ النَّمطيَّةِ السَّائدةِ للذُّكورةِ أو الفتياتِ لأنَّهنَّ لا يُقدِّمنَ المُثلَ العُليا للأنوثةِ المُتعارفِ عليها في المجتمع.

والشَّبابُ المِثليُّونَ أعربوا عن مواجهَتِهم لجوٍّ مَشحونٍ منَ التعصُّبِ اليوميِّ يَتعرَّضونَ فيهِ للتَّخويفِ والتنمُّر.

ووَرَدَ في التَّقريرِ أيضًا أنَّ ما يَدفعُ لزيادةِ عددِ حالاتِ الانتحارِ في سنِّ المراهقةِ هو الشُّعورُ بعدمِ التَّأكدِ منَ الهويَّةِ الجنسيَّةِ عندَ الصِّبيةِ والفتياتِ في هذا السِّن.

ووفقًا للإحصائيّات التي نشرَتَها وكالةُ "أي بي سي" فإنَّ ما يقربُ مِنْ ثلاثينَ بالمئةِ منَ الطلاَّب هُم إمّا متنمِّرونَ وإمَّا ضحايا للتنمّر، ويبقى يوميًّا حوالي (160) ألف طفلٍ حولَ العالمِ في منازلِهم بدلَ الذَّهابِ إلى المدرسةِ بسببِ خوفِهم منَ التنمُّر. بينما وجدَتْ دراسةٌ أجرَتْها جمعيَّةٌ مُناهِضةٌ للتنمُّرِ في المدارسِ في

بريطانيا أنَّ ما يَصلُ إلى نصفِ حالاتِ الانتحارِ بينَ الشَّبابِ يَرتبطُ بالتنَّمر.

انتهى التَّقرير.

الحقيقةُ ثمنُها أكبرُ مما تتَصوَّر، ثمنُها أنفسٌ فقط كانتْ تُريدُ أنْ تُفكِّرَ بصوتٍ عالٍ لتتربَّعَ على عرشِ الحريَّةِ ولكنَّ المُواجهةَ هُنا مُؤلمةٌ جدًّا أكثر مِنْ أنْ يَتقبَّلُها الشَّخصُ ذاتهُ لتَهوي بحياةِ أحدٍ ما كانَ كلُّ طموحِهِ أنْ يَعيشَ بِقناعٍ واحد،
إنَّها حقيقةٌ بل إنَّها دعوةٌ إلى الجُنون.

3

[لكَ الحريَّةُ في عبورِ الطَّريقِ الذي تَعتقدُ أنَّهُ السَّبيلُ الإيجابيُّ لمصلحتكَ الشَّخصيَّة، ولكنْ إيَّاكَ أنْ تَنسىَ طريقَ العودة]

العاطفةُ والخيالُ والجريُ خلفَ قاطرةِ الرَّغبة مطلوبٌ وهوَ جزءٌ لا يَتجزَّأُ مِنْ تركيبةِ الإنسان، وهذا ما يُدليهِ عليكَ النِّصفُ الأيمنُ مِنَ الدِّماغِ الغارقِ في وحلِ الفانتازيا، وكثيرٌ مِنْ بَني البشرِ يَسرحُ بهم دماغُهم الأيمنُ نحوَ فصلِ الواقعِ عن الوهمِ وهناكَ تُعَدُّ تُرَّهاتُ الخلطِ بينَ السَّقيمِ والصَّحيح، إنَّها جهةٌ تُساعدُكَ على إبرازِ مواهبكَ وصبِّ كلّ جهدكَ في قالبٍ إبداعيٍّ تُلزمهُ إليكَ، تلكَ الجهةُ بالتَّحديدِ بحاجةٍ إلى مساعدةٍ مِنَ الجانبِ الأيسرِ لدِماغِك، وكلَّما حاولتَ أنْ تَبدأَ بأيِّ جهدٍ نرجسيٍّ حاوِلْ اصطحابَ الجانبينِ مِنْ دماغِكَ لتحفظَ خطَّ العودة، فالإبحارُ بالخيالِ يُعدُّ بدايةً

للانفصام، عليكَ أنْ تُجدِّفَ بمجاديفَ الجانبِ الأيسرِ في رحلةِ بحثكَ عن ظلمةِ الوهم، في نفقِ تلكَ الطَّريقِ لنْ تجدَ النُّور، سوفَ تَتلخَّصُ مَسيرتُكَ على هذهِ الأمورِ فقط:

التَّعرفُ على الوجوه.

التَّعبيرُ عن المشاعر.

الموسيقى.

فهمُ وإدراكُ المشاعر.

الألوان.

الصُّور.

الحدسُ وسرعةِ البديهة.

الإبداع.

وكلُّ ما ذكرتهُ هو وابلٌ مِنْ وحلِ الوهَنِ لا الحقيقة، لا أخفيكَ سرًّا بأنَّ هذا الجانبُ مطلوبٌ ولكنَّه جانبٌ

وهميٌّ وافتراضيٌّ لا يُسمنُ ولا يُغني مِنْ جوع، أريدُ التَّنويهَ لقضيَّةٍ مُهمَّةٍ هُنا ألا وهيَ غرقُ البشريَّةِ في عالمِ السوشل ميديا الوهمي، أصبحَ الخبرُ مُجرَّدَ لقطةٍ ما لموقفٍ ما، يُنشرُ على أحدِ المواقعِ التي صنعَتْ حاجزًا إلكترونيًّا بينَ مشاعرِنا وبينَ الواقع، غرِقَتْ المواقعُ بالملفَّاتِ والصُّورِ

والفيديوهات، ولكَ أنْ تَتخيَّلَ إحدى اللَّقطاتِ كأنْ ترَى صورةً لأطفالِ أفريقيا، كيفَ يموتونَ منَ الجوعِ وتُنشَرُ بعضُ اللَّقطاتِ ويَتفاعلُ العالمُ معها بغباءٍ كأنْ يضعَ علامةً في مكانِ الإعجابِ مثل: (أحزنني) أو (أبكاني) أو (إعجاب) خالٍ منَ المشاعر، إنَّ العالمَ الافتراضيَّ مرهونُ الانفعالاتِ الحركيَّةِ ومحبوسُ التَّفاعلِ الفعليِّ الواقعي، ولكَ أنْ تسألَ نفسَك:

هل شبعَ أطفالُ أفريقيا بتفاعلكَ الافتراضي؟

هل أعجَبَني قدَّمَ لهم خبزًامثلاً!

أو أحزنَنِي آواهُم في بيتٍ يَقيهمُ البردَ أو الحر؟ وهل أبكاني ساعدَهم لوجستيًّا؟

إنَّ التَّفاعلَ الافتراضيَّ مرضُ العصرِ

وأزمةُ كبتِ التَّفاعلاتِ غير المنطقيَّةِ وذلكَ عبرَ كبسةِ زر، و(أحضنني) مجرَّدُ سُخريةٍ افتراضيَّةٍ لا تَروي شغفَ فردٍ بحاجةٍ إلى حضنٍ حقيقي، و(أعجبني) مَجردُّ هبلٍ لا يساوي محادثةً وجهًا لوجهٍ كي تتحدَّثَ مع شخصٍ أنتَ معجبٌ بهِ أو بنجاحِه، وأمَّا (أحببتُه) ليسَ لها أيةُّ قيمةٍ أمامَ قُبلةٍ حقيقيَّةٍ تضعُها على خدِّ مَنْ تُحب لتُثبتَ محبتكَ له، وللأسفِ هذا الوهمُ جلبَ للبشرِ مرضَ الاكتئابِ، حيثُ صرَّحَ تقريرُ منظَّمةِ الصَّحةِ العالميَّة بما يلي:

الاكتئابُ مِنَ العللِ الشَّائعةِ على مستوى العالمِ برمَّتِه، حيثُ يُؤثِّرُ على أكثرِ مِنْ (300) مليون شخص.

ويختلفُ الاكتئابُ عن التقلُّباتِ المزاجيَّةِ العاديَّةِ والانفعالاتِ العاطفيَّةِ التي لا تَدومُ طويلًا، كاستجابةٍ لتحدِّياتِ الحياةِ اليوميَّة. وقد يُصبحُ الاكتئابُ حالةً صحيَّةً خطيرة، لا سيما عندما يَكونُ طويلَ الأمدِ وبكثافةٍ معتدلةٍ أو شديدة.

ويمكنُ للاكتئابِ أنْ يُسبِّبَ معاناةً كبيرةً للشَّخصِ المُصاب به، ويتَردَّى أداؤهُ في العملِ أو في المدرسةِ أو في الأسرَة. ويمكِنهُ أنْ يُفضي في أسوأِ حالاتهِ إلى الانتحار. وفي كلِّ عامٍ يموتُ ما يُقاربُ (800000) شخص مِنْ جرَّاءِ الانتحار الذي يُمثِّلُ ثاني سببٍ رئيسيٍّ للوَفَيَاتِ بينَ الفئةِ العمرية (15-29) عامًا.

ومع أنَّ هناكَ طرقَ علاجٍ معروفةٍ وفعَّالةٍ لعلاجِ الاكتئاب، نَجدُ أنَّ أقلَّ مِنْ نصفِ عددِ المتضرِّرينَ في العالم (أقل مِن 10% في كثيرٍ منَ البلدان) يَتلقَّونَ مثلَ هذا العلاج. وتَشملُ العوائقُ التي تقفُ حائلًا أمامَ الحصولِ على الرِّعايةِ الفعَّالة: نقصُ الموارد، وعدمُ

كفايةِ مُقدِّمي الرِّعايةِ الصحيَّةِ المُدرَّبين، والوصمةُ الاجتماعيَّةُ المرتبطةُ بالاضطراباتِ النَّفسية. وهناكَ عائقٌ آخر يقفُ أمامَ تقديمِ الرِّعايةِ الفعَّالةِ يَتمثَّلُ في عدمِ دقَّةِ التَّقدير. ففي البلدانِ مِن جميعِ مستوياتِ الدَّخل، لا تُشخَّصُ في كثيرٍ منَ الأحيانِ حالةُ مَنْ يُعانون الاكتئاب بطريقةٍ صحيحة، وتُشخَّصُ حالةُ الآخرينَ ممَّن لا يُعانونَ مِن هذا الاضطرابِ في كثيرٍ منَ الأحيانِ بطريقةٍ خاطئةٍ مع وصفِ مضادَّاتِ الاكتئابِ لهم.

إنَّ عبءَ الاكتئابِ وحالاتِ الصَّحةِ النَّفسية الأخرى آخذٌ في الارتفاعِ عالميًّا. ودَعَا قرارُ جمعيَّةِ الصَّحةِ العالميَّةِ الذي حدثَ تمَريرهُ في أيار/مايو 2013م إلى اتِّخاذِ استجابةٍ شاملةٍ ومُنسَّقةٍ بشأنِ الاضطراباتِ النَّفسيَّةِ على الصَّعيدِ القطري.

المصدر: منظَّمةُ الصحَّةِ العالميَّة 30 كانون الثاني/يناير 2020

أعدادٌ هائلةٌ وأرقامٌ يَصعبُ إحاطتها بعقلِ إيّ إنسان، وهذه الأيامُ أكثرُ الأطبَّاءِ نشاطًا هُم الأطبَّاءُ النَّفسيُّون، وطبعاً النَّأيُ بالذَّاتِ والبقاءُ خلفَ الشَّاشاتِ الصَّغيرةِ

والتَّفاعلُ الوهميُّ يوقفُ عملَ الجانبِ الأيسرِ الواقعيّ الدِّيمقراطيّ بتفاعلاتهِ الملموسةِ والمحسوسة يَجلبُ للمرءِ مرضَ الخوفِ ومُواجهةَ الذَّاتِ والواقع، أصبحَ العالمُ قريةً صغيرةً مُنكبَّةً على الشَّاشاتِ لرؤيةِ الفرحِ والتَّرحِ ولكنْ مِنْ غيرِ أيَّة حركة، وأصبحَ الموتُ أيضًا يُرى عبرَ الشَّاشةِ الذَّكيَّةِ التي جلبَتْ للفردِ الغباءَ

وقلَّةَ الحركة. كانتْ المواقعُ في بادئِ الأمرِ تَنشرُ المعلوماتِ التَّوعويةِ ولكنْ وصلَ الحالُ باستخدامهِ للنعصريَّةِ والكراهيَّةِ

ونشْرِ الفوضى والدَّم والقتلِ والتَّحريضِ على الخرابِ والأسوأ مِنْ كلِّ هذا هناكَ مَنْ انتحرَ عبرَ بثِّ فيديو

مباشر ليتعاطفَ معهُ النَّاسُ افتراضيًّا في تاريخ:
11-11-2019 عَنونَ موقعُ "مبتدأ قبلَ الخبر"
للصَّحفي "محمد عبد الوهاب" النَّبأَ التَّالي:

آخرُ رسالةٍ لـ

(شابٌّ السَّلامِ قبلَ انتحارهِ لايف على فيسبوك)

وأكَّدَ أصدقاءُ شاب السَّلام أنَّ آخرَ رسالةٍ كتبَها قبلَ وفاتهِ هي:
(الموت مش هو اللي بيخوف، اللي بيخوف هو الحياة، أستودعكم الله.

(شابٌّ يَشنقُ نفسهُ على فيسبوك)

وقالَ أحدُ أصدقاءِ شاب السَّلام الذي انتحرَ في بثٍّ مباشرٍ على فيسبوك ويُدعى ع . إ، إن إسلام، يَبلغُ 26 عامًا، وكانَ يَعملُ سائقَ توك توك لمدَّةٍ ثمَّ تَعيَّنَ فى إحدى شركاتِ الاتصالاتِ منذُ مدَّةٍ قريبة، موضِّحًا أنَّ والدَ إسلامٍ توفَّى منذُ عدَّةِ سنوات، وتركَ وراءَهُ ثلاثةَ أولادٍ ذكورٍ منهم: إسلامٌ وزوجةٌ أرملة، وبعدَ وفاةِ الوالدِ تَحمَّلَ إسلامُ مسؤوليَّةَ الإنفاقِ على أسرتِه.

وكشفَ صديقٌ آخر عن تفاصيلَ اللَّحظاتِ الأخيرةِ في حياةِ إسلامٍ موضحًا أنَّهُ كانَ يَتعاطى المُخدِّراتِ لمدَّةٍ ومنذُ تعيينِه أقلعَ عنها ولكنْ في المدَّةِ الأخيرةِ كانتْ حالتُه النَّفسيةِ سيِّئة، ويوم أمسٍ عملَ بثًّا على صفحتهِ على فيسبوك تَظهرُ فيهِ كنبة ومحفظة وأوراق شخصيَّة وفوق البثِّ مكتوب "الموت مش هو اللي بيخوف اللي بيخوف هو الحياة، أستودعكم الله".

وكشفَ أصدقاءُ الشَّابِ أنَّهُ اعتادَ تناولَ مخدِّرَ الأستروكس، وأنَّهُ تناولَهُ قبلَ أنْ يَشنقَ نفسهُ في بثٍّ مباشرٍ على فيسبوك بينما أكَّدَ شقيقُهُ أنَّهُ لا توجدُ أيةُّ خلافاتٍ مع أحد، وقرَّرتْ النِّيابةُ تسليمَ الجثمانِ إلى أسرةِ القتيلِ والتَّصريحِ بدفنِها.

انتهى التَّقريرُ وانتهى الخبرُ وراحتْ الضحيَّةُ في خبرٍ افتراضيٍّ لن يتفاعلَ معهُ الناسُ سوى ببعضِ الكلماتِ واللَّكماتِ المشاعريَّةِ الباردة، لم تحدثْ أيَّةُ ضجَّةٍ لأنَّ مواقعَ الأخبارِ الافتراضيَّةِ أصبحتْ تتسابقُ على نشرِ خبرِ نقيقِ الضَّفادع، وكلُّ هذا العالمِ هو هروبٌ منَ الذَّاتِ وإضاعةُ طريقِ العودةِ إلى الجانبِ الأيسر.

ضُمُّوا مَنْ تُحبُّونَ في الحقيقة، أطعِموا مَنْ يَجوعونَ في الواقع، زُرْ أمَّكَ وبِرَّها أفضلُ منِ نشرِ صورتِها لجلبِ المزيدِ منَ الإعجاباتِ وفي واقعِكَ أنتَ علقٌ وقذِرٌ

وتُعاملُها معاملةَ كلاب.

التوقُّفُ عن إهمالِ الذَّاتِ هو أوَّلُ خطوةٍ لإضاعةِ طريقِ العودةِ فكُنْ على حذر.

4

[لا تَستعملْ عاطفتِكَ للانتقامِ مِنْ ذاتِك، كُنْ حَكَمَ فصلٍ بينَ واقِعك وخيالِك، ولا تَأخُذْ بنصيحَتي على محملِ الجدِّ قبلَ أنْ تُفكِّرَ بها بعقلانيَّة]

أيَّةُ معلومةٍ تَأتي إلى الدِّماغِ ومهما كانت مُهمَّةً يَجبُ تَحريرُها مِنْ طَرَفي الدِّماغِ، تَبدأُ بالجانبِ الأيمنِ المُتوجِّسِ مِنْ أيِّ حدثٍ تتلقَّاه الحواسُ التي نستعمِلُها كتَلَقِّي أيَّة معلومةٍ خارَج قُطرِ الجسم، نحنُ نَشمُّ ونَسمعُ ونَتحدَّثُ ونَتذوَّقُ

ونلمسُ الأجسامَ الخارجيَّةَ ونَتفاعلُ معَها على حسبِ الرَّغبة، وبعدَ ذلك تُّخزَّنُ في الدِّماغ كتجربة، وعلى أساسِ التَّجاربِ نَبني القِيمَ ونُورثُها للأجيالِ وعلى المدى البعيدِ تصبحُ هذهِ التَّجاربُ دستورًا أو دينًا أو عاداتِ وتقاليد، وبينَ التَّرغيبِ

والتَّرهيبِ نَحملُ أفكارًا قد سمِعنا بها أو رأيناها أو جرَّبناها أو حدَثًا جديدًا لا بدَّ منَ الحذرِ منه، ولكَ هذا المثال:

كلُّ الذينَ حَذَّروا أبناءَهُم مِنَ عومِ الماءِ لا يُجيدونَ السِّباحة، وكلُّ الذينَ أرعَبوا أجيالَهم مِنَ الحريَّةِ يَلعنونَ الدِّيمقراطيَّة

ويتَّهمونَها على أنَّها بدايةٌ لخرابٍ مَحتوم، وكلُّ الذينَ يَخشونَ حملَ السِّلاحِ يُقتلونَ على أيادي جلَّاديهم، وكلُّ مَنْ لم يُجرِّبْ أنْ يَزرعَ في دماغهِ الأيسر مادَّةٌ مُقفلةٌ بالوهمِ تُسمَّى "الخوف".

النَّارُ تَحرِق، الماءُ يُغرِق، النَّاطحاتُ توقِع، المُنخفَضاتُ مُرعبة، وهَلُمَّ جَرا مِنْ أحكامٍ صادرةٍ عن أناسٍ كانوا خائفينَ وأورَثوا الأجيالَ فرضيَّةَ الخوف، حتَّى عِندما يَسألُ الطِّفلُ الذي لا يَبلغُ سنَّهُ سنَّ المراهقةِ ذاكَ السُّؤالَ المُفزِع:

مَنْ خلَقَ الله؟

لا شعوريًّا يَغضبُ الأهلُ ويَبدَؤُونَ بحشوِ صوفِ الخوفِ في فراءِ رأسِ الطِّفلِ بالجنون، لا تَستعملْ هذا السُّؤال لأنَّ مصيرَكَ إلى جهنَّمَ وبئسَ المَصير، ويبدأُ الأهلُ الحديثَ عن جهنَّمَ وأسماءِ جهنَّم:

1- جهنَّم: سُمِّيتْ بذلكَ بسببِ بُعدِ نهايتِها أو قعرِها، وقال تعالى:

(إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا)

2- لظى: سُمِّيتْ بذلكَ لشدَّةِ تَلهُّبها، لقولهِ تعالى:

(كَلَّا إِنَّهَا لَظَى*نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى)

3- السَّعير: سُمِّيتْ بذلكَ لأنَّها تَهيجُ وتَتوقَّد، لقولهِ تعالى:

(فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ)

4- سَقَر: سُمِّيتْ بذلكَ لأنَّها شديدةُ الحَرارة، لقولهِ تعالى:

(سَأُصْلِيهِ سَقَرَ*وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ)

5- الحُطَمَة: سُمِّيتْ بذلكَ لكسرِها وتَهشيمِها كلّ ما يُلقى فيها، لقولهِ تعالى:

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ*نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ)

6- الهاوية: لأنَّ مَن يَدخُلَها يَهوي مِنَ الأعلى إلى الأسفل، لقولهِ تعالى:

(فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌوَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْنَارٌ حَامِيَةٌ)

ويُروَّضُ الطِّفلُ على المنعِ حتَّى لا يَصلَ إلى أيِّ بابٍ مِنْ أبوابِ جهنم، الرُّعبُ يقتلُ عمليَّةَ البحثِ والتَّجربةِ ويُسلِّم العقلُ الوهمَ ويُفنِّدُ الواقعُ معادلةَ ما تلقَّاهُ الفردُ في صغرهِ على وابلٍ منَ الممنوعاتِ ولو رأيتَ المَسموحاتِ لا تكادُ تُعدُّ على الأصابع، ليسَ الدِّينُ الإسلاميُّ فقط لديهِ جهنمُ كلُّ الدِّياناتِ تَتحدَّثُ عن جهنَّمَ

وعلى مبدأ:

جهنَّمُكم جنَّتنا، وجنَّتنا جهنَّمكم ويلا...

راح يَنشأ جيل يا حلاوة النبي، مشطوبٌ فطريًّا وفكريًا ومسحوبةٌ مِنْ دماغهِ كلّ وسائلِ البحثِ التَّجريدي، لأنَّ التجرُّدَ حرام، ويلِّي بياخد مِن غير ملتو بموت بعلتو، ونسوا أنَّ العلَّةَ منِهم وفيهم،

وعندما يَكبَرُ الجيلُ يَتحوَّلُ إلى أداةٍ تَحملُ اسم الكراهيّة، الخيالاتُ والوهمُ يُنكرُهُم الأجدادُ لأنَّ مقاساتِ الواقعِ تَختلفُ جذريًّا عن مساحاتِ الأممِ السَّالفة، يَعني مِن طابوسةٍ لطابوسةٍ

وكأنَّ شيئًا لم يَكُن، ليس الأمرُ سهلًا أنْ تُناقشَ شخصًا يُؤمنُ بالغيب، إنَّهُ منَ السَّهلِ فعلًا معكَ لأنَّكَ وصلتَ إلى التَّجرُّدِ وأشعلتَ زِرَّ البحث، الصَّعبُ في تلكَ الدَّائرةِ التي سلَّمَ الغبيُّ عقلَهُ الواهمَ مِنْ غيرِ أيَّةِ نظرةٍ واقعيَّةٍ وأيِّ تَمييزٍ واقعيٍّ بينَ ما يَحملُه مِن كيسِ خيشٍ منَ الأوهامِ وبينَ اللَّحظةِ الذَّاتيَّةِ التي يُنكرُها ويُحوِّلُها إلى إيمان، كلُّنا مُؤمنون إنْ كانَ لنا دينٌ أو لم يَكن،

والفارقُ بينَ مَنْ يَحملْ دينًا ومَنْ ليسَ لديهِ دينٌ بأنَّ الإيمانَ الوهميَّ يَحرسُ صاحبهُ منَ الانتحارِ وأمَّا إنْ لم يكُنْ المتجرِّدُ واقعيًّا فمصيرهُ إلى الموتِ المُبكِّر، في دماغي تاريخٌ مؤلمٌ بكيتُ عليهِ أو بالأحرى بكيتُ على صاحبةِ الحدث:

11 فبراير 2012، بيفرلي هيلز، كاليفورنيا، الولايات المتحدة.

لا يَربطُني معَ صاحبةِ التَّاريخِ سوى صوتِها العذبِ ولونِ بشرَتها النُّحاسيَّة، لم يَسرقْها الموتُ منَّا بل سرقَها الكوكائيين منَّا بجرعةٍ زائدةٍ في الوريد، كانتْ ضغوطاتِها أكبرَ منَ الأضواءِ والنُّجوميَّة، كانتْ تُغنِّي في كنسيةٍ وانتقلَتْ إلى المسرحِ ولم تُفعِّلْ دماغَها الأيسر لكي تُعالجَ الخللَ بواقعية، كلُّ الذي أرادتهُ أن تنسىَ شتائمَ النَّاسِ لها، وللأسفِ كانت حسَّاسةً أكثرَ منَ اللاَّزمِ ولم تعرِفْ عدمَ المبالاة، حاولتْ ولكنَّها

لجأَتْ إلى المُخدِّراتِ وسقطتْ كما سقطتْ التُّفاحةُ على رأسِ نيوتن، إنَّها القريبةُ إلى قلبي:

ويتني هيوستن

شُعوري تجاهَ رحيلِها مُؤلم، التَّابوتُ الفضِّي، الكنسية، الجمهور، صمتُ الشَّوارع، وأزمةُ المُودِّعين، وحُمِلَتْ الجثَّة، وأنا هناكَ أقفُ على عتبةِ الشارعِ الواسعةِ ألوِّحُ بيدي:

وداعًا ويتني.

هي مُغنِّيةُ بوب وممثلةٌ أمريكيَّة، وقد فازتْ بالعديدِ منَ الجوائزِ منها:

(21) جائزة مِن جوائزِ الموسيقى الأمريكية و(6) جوائزَ الغرامي وجائزتا إيمي، لها مقولةٌ جوهريةٌ تَختصرُ ما أَكتبُه هنا:

(نستطيعُ أنْ نعرفَ مدى صعوبة الحياة، وأنَّ الحياةَ لا تُقدِّمُ دائمًا كلَّ ما يَتمنَّاهُ الإنسان)

تقولُ "سارة عابدين" في مقالٍ لها في الجزيرة عام 2019/8/9 في بدايةِ النهاية:

بدأتْ "هيوستن" مُنتصفَ التِّسعينيَّات في تعاطي المُخدِّرات، وخرجَتْ عن المسارِ الصَّحيحِ الذي حدَّدتهُ لنفسِها، خاصةً بعدَ النَّجاحِ الكبيرِ الذي حقَّقتهُ في فيلمِ "الحارس الشخصي" عام 1992م، لكنَّها لم تَتمكَّنْ مِنَ العودةِ كاملًا، تحديدًا مع وجودِ بعض المشاكلِ الماليَّةِ التي حاولتْ هيوستن إنكارَها.

تُوفيَتْ النَّجمةُ في عمرِ (48) ربيعًا بفندقِ بيفرلي هيلتون، بعدَ حفلٍ كبيرٍ لها، وكانتْ في الأيَّامِ التي سبَقتْ وفاتها يَبدو عليها المعاناة مِن أمراضِ القلبِ وإدمانِ مُخدِّر الكوكائين الذي قضى على حياتِها ومسيرتِها الفنيَّةِ الكبيرة.

انتهى التقرير .

كتبتُ هذا النَّصَ وأنا أبكي، لا أستطيعُ فصلَ العاطفة، ولكنْ بعدَ تَجاربٍ مريرةٍ مِنَ الواقعِ وجدتُ شيئًا مُهمًّا في الحياةِ ألا وهوَ اكتشافُ الذَّاتِ التي ظلمتُها كثيرًا وأنا لم أُلقِ لها بالًا، أنا آسفٌ لكلِّ روحٍ طيّبةٍ غادَرَتْ الحياةَ قبلَ أنْ نَضمَّها

ونغرقَها بالقُبلِ ونَقُول لها:

نحنُ هُنا مِن أجلِك، أرجوكَ تمالَكْ نفسَكَ ليسَ مِنْ أجلكَ بل مِن أجلِ ذاتِكَ وجمالِ كلِّ شيءٍ فيك.

الذَّاتُ بدايةٌ جديدةٌ لفصلِ لون الخيالِ عن صوتِ الواقعِ ومُعالجة الأمرِ بروحٍ رياضيَّةٍ إذا صحَّ التَّعبير.

5

[كلُّ الذينَ بَحثوا عن الحقيقةِ وأخبروكَ أنَّهم وَجَدُوها، يَئِسوا مِنَ البحثِ عن الحقيقةِ الكاملة]

معركةُ البحثِ لا يُطلقُ عليها معركةٌ بالأساس، إنَّهُ مِضمارُ الجانبِ الأيسرِ للدِّماغ، متى نُطلِقُ على المُفكِّرِ صفةَ مُفكِّر؟

هذه "المتى" نَرفعُها إلى الشَّخصيَّةِ العقليَّةِ التي تَغلَّبتْ على النِّصفِ الأيمنِ منَ الدِّماغ، هذا النِّصفُ يُدعى: التعرِّي مِن أفكارِ السَّالفينَ ليُكملَ البحثُ ما انتهى بهِ العابرونَ عبرَ سلسلةٍ واقعيَّةٍ عقلانيَّةٍ تَهدفُ إلى إراحةِ البشريَّةِ مِنْ صعوباتِ الحياةِ ومِنْ مُنغِّصاتِ الرُّوتين اليومي، فمَن أتَى بالجديدِ يُوضَعُ جديدُهُ تحتَ مجهرِ التَّجربة، إنْ يكُنَ بها مصلحةٌ ماديةٌ أو فكريةٌ أو

إنسانيَّةٌ فيُؤخَذُ بها طبعًا بعد أنْ يُرشقَ المُفكِّرُ أو المُبتكِرُ بالحجارةِ

ويُلَقَّبُ بالكذَّابِ وبالدَّجالِ وبالسَّاحرِ

وبالمجنون، فمُهمَّةُ مَنْ أتى بالجديدِ كمُهمَّةِ الأنبياءِ تمامًا ولا يَجتمعُ حول الفكرةِ إلاَّ مَنْ وجَدوا أنفسَهم ومصالحَهم تَتطابقُ مع تلكَ الفكرةِ ومنَ الصِّفرِ تَنطلِقُ المُراشقةُ العقليَّةُ والمعركةُ المبنيَّةُ على مصالح ماديَّةٍ حتَّى لا تَنهارَ مصالحُ الفكرةِ السَّالفة، وليسَ كلٌّ ما يُقالُ عن السَّلفِ صحيحًا بلْ هوَ آخرُ ما توصَّل إليهِ السَّلف، ولكَ أنْ تَسألْ وماذا بعد؟

البَعدُ أنْ تُكملَ تلكَ المسيرةَ لفكِّ لُغزٍ جديدٍ وتقديمِه للبشريَّة كي يَستفيدوا منهُ، الباحثونَ يَنقسمونَ إلى قسمين:

القسم الأول: يَلهثُ خلفَ المادَّةِ مُتناسيًا القيمَ الإنسانيَّةِ التي هي أهم مِنْ جَنيِ الأموالِ والشُّهرةِ وسوفَ أسوقُ

لكَ اسمًا أحدثَ صاحبُهُ ضجَّةً مُخيفةً في العالمِ ألا وهو:

(روبرت أوبنهايمر)

حسنًا سوفَ أقولُ لكَ منَ هوَ روبرت؟ فيزيائيٌّ أمريكيٌّ ومُدرِّسُ الفيزياءِ النَّظريةِ بجامعةِ كاليفورنيا، بيركلي،
ولكنْ آخرَ ما توصَّلَ إليهِ هذا الباحثُ وهو المديرُ العلميُّ لمشروعِ "مانهاتن" لتصنيعِ السِّلاحِ النَّووي الأوَّلِ في الحربِ العالميَّةِ الثَّانيةِ ويُعرَفُ أوبنهايمر بـ:

(والدِ القُنبلةِ النَّووية)

وقد اشتُهرَ أوبنهايمر بمَقولتِه:

(الآن أصبحَ الموتُ مُدمِّرَ العوالم)

وصلَ إلى بحثٍ لتسهيلِ قتلِ البشريَّةِ

وليجعلَ منَ العالمِ حقلَ تجارُب لبَترِ الجماجِم وتدميرِ العالمِ ولكنْ بكبسةِ زر،

وبعدَ الانتهاءِ مِن صُنعِ القُنبلةِ النوويَّةِ بعدَ الحربِ أصبحَ أوبنهايمر الرَّئيسَ المُشرف على اللَّجنةِ الأمريكيَّةِ للطَّاقةِ النوويَّةِ واستخدمَ منصبَهُ للضَّغطِ والتَّحكُّمِ في استخداماتِ الطَّاقةِ النَّوويةِ وتجنُّبِ سباق التَّسليحِ النَّووي مع الاتحادِ السُّوفيتي ولحُسنِ الحظِّ أنَّهُ حصلَ على جوائزَ مِن الرُّؤَساءِ الأمريكيينَ جون كينيدي وليندون جونسون.

وشُفيَ المُؤمنونَ بالإنسانيَّةِ بموتِهِ بسببِ سرطانِ الحُنجرة.

ماذا استفَدْنا مِنَ الأبحاثِ التي قَتلتْ

ودمَّرتْ مساحاتٍ كبيرةٍ كانَ يَعيشُ عليها أناسٌ مثلنا لهم أحلامُهُم البريئة!

وما زالَ البحثُ عن صناعةِ الموتِ قائمًا على قدمٍ وساقٍ وتَتصارعُ عليها الدُّولُ الكبرى لفرضِ سلطَتِهم وغرسِ نُفوذِهم على الدُّولِ الأخرى ليَكونوا عبيدًا تحتَ وطأةِ الخوفِ والرُّعبِ مِنْ كبسةِ زرٍّ دمويَّة، والمصيبةُ أنَّهُ حصلَ على الشُّهرةِ

والمالِ والمنصِبِ وأخذَ حظًّا وافرًا في ما سَعى إليهِ مِنْ مَصلحة، ولكنْ هناكَ جانبٌ آخر يَسعى لأنسنةِ البحثِ العلميِّ لتقديمِ يدِ العونِ العلميَّةِ كي يَنعمَ النَّاسُ بالأمانِ وسوفَ أطرحُ لكَ اسمًا:

(روبرت كوخ)

ولدَ روبرت كوخ في (11) ديسمبر سنة (1843) في كلاوستالِ بالقربِ مِنْ هانوفر، نشَأَ روبرت كوخ في عائلةٍ كثيرةِ الأفرادِ فقد كانَ ثالثَ ابنٍ مِن عشرةِ أطفال، درسَ الطبَّ في جوتينجن على يدِ الطَّبيبِ الألماني "فريدريك جوستاف جيكوب" وتخرَّجَ في عام 1866م، شاركَ في الحربِ الفرنسيَّةِ البروسية حيثُ عملَ لاحقًا كضابطٍ طبيب، باستخدامِ إمكانيَّاتٍ محدودةٍ للغايةِ أصبحَ أحدَ مُؤسِّسي عِلم البكتيريا، بالإضافةِ إلى لويس باستور ، عملَ روبرت كوخ طبيبًا في العديدِ مِنَ المُستشفيات الألمانيَّةِ وأستاذًا في جامعةِ برلين وأهم شيءٍ اكتشفَهُ هو:

اكتشفَ الطبيبُ الألماني والحائز على جائزةِ نوبل بريز روبرت كوخ، البكتيريا التي تُسبِّبُ مرضَ السِّل، في (24) مارس (1882م).

وليسَ مِنْ بابِ الصُّدفةِ أنَّ الشَّخصينِ يَحملانِ ذاتَ الاسم:

(روبرت)

الرُّوبرت الأوَّل قتَلَ البشريَّةَ والثَّاني أنقذَ البشريَّة، فهناكَ صراعٌ بحثيٌّ بينَ الشَّرِّ
والخير، الأوَّلُ جلبَ المالَ والمنصِبَ
والشُّهرةَ وشتمَهُ جميعُ البشر، والثَّاني اكتشفَ علاجًا للسِّلِّ والكوليرا وذكرتْهُ البشريَّةُ بالخيرِ والشُّكرِ وحصلَ على جائزةِ نوبِّل.

وما زالَ البابُ مفتوحًا على مِصراعيهِ للبحثِ العلميِّ ولكنَّ البحثَ بحاجةٍ لتجرُّدٍ منَ الجانبِ الأيمنِ للدِّماغِ والانتقالِ للجانبِ الأكثرِ إثارةٍ ألا وهوَ الأيسر، الانطلاقُ إلى بحثٍ جديدٍ يفيدُ لإنقاذِ إنسانٍ يَئِنُّ مِنْ

لعنةٍ ألمَّتْ بهِ وأكثر مَنْ وقعوا في ضحيَّةِ انتحارٍ همْ مَن شرَّعوا بابَ الجانبِ الإبداعيّ للعقلِ وهذهِ بعض الأسماءِ وسوفَ تُصدمُ مثل:

روس ألكسندر (1937)، الممثِّلُ الأمريكي، انتحرَ برصاصةٍ في الرَّأس.

أغسطس أميس (2017)، الممثِّلةُ الكوبية، انتحرَتْ مُعلَّقة.

جان أميري (1978)، كاتبٌ نمساوي، جرعةٌ زائدةٌ منَ الحبوبِ المنوِّمة.

كيث أنديس (2005)، ممثلٌ أمريكيٌّ، انتحرَ بالاختناق.

الكاتبةُ أروى صالح كاتبةٌ وناشطةٌ مصرية.

آرت أكورد (1931)، الممثِّلُ الأمريكيُّ وبطلُ روديو، انتحرَ بابتلاعِ السم.

مانويل أكونيا (1873)، الشَّاعرُ المكسيكي، بابتلاعِ سيانيد البوتاسيوم.

زهير أبو سعد (2025) كاتبٌ مِن أصولٍ سوريَّة، انتحرَ بجرعةٍ زائدةٍ مِنَ البحثِ عن معنى الحياة.

هل رأيتَ الجانبَ الأيمنَ المُتطرِّفَ ماذا يفعلُ بالإنسان؟
يقتلُهُ مُنتحرًا بسببِ تراكمِ الخيالِ

والاستمراريَّةِ بمسرحيَّةِ الوهمِ والوهَنِ، الجانبُ المشرقُ للعقلِ هوُ الجانبُ الأيسرُ الذي يُعزِّزُ الثِّقةَ ويُعمِلُ قانونَ التَّعريِ

والتجرُّدِ للوصولِ إلى الحقيقة، وإذا كنتَ تدورُ مِن أجلِ رضَا القطيعِ فاجمَع كلَّ إبداعاتِكَ هذا إنْ كنتَ مُبدعًا بالأساسِ

وانقَعهَا في بولِ خنزيرٍ واشربهُ قبلَ النَّومِ بساعةٍ وعلى الرِّيقِ يا صديق.

البحثُ مستمرٌّ ومع ذلكَ لا تُحاولْ حتَّى لا تَفقدَ ذاتَك.

6

[النَّصُّ يَجعلُ منَ المجتمعِ المُنغلقِ وليمةً كاملةَ الدَّسمِ للعقل]

مَهما رفعَتْكَ القيمُ التي ورثتَها بالإكراه، مَهما قلَّدكَ الدِّينُ أعلى درجاتِ الكمال، مِهما نصَّبكَ المُجتمعُ المُنغلِقُ أجملَ مناصبَ الحياة، ستَبقى في أُطُرٍ مرسومةٍ لكَ مُذْ سمِعَتَ أمُّكَ أوَّلَ صرخةٍ لكَ بعدَ خروجكَ مِنْ رحمِها ووصلْتَ إلى مُنتهاك، النَّصُّ يَجعلُ منَ الفردِ آلةً أوتوماتيكيَّةً تُكرِّرُ ذاتَها ليلًا ونهارًا وسرًّا وجهارًا على مبدأِ التَّسليمِ لكلِّ قواكَ العقليَّةِ والبدنيَّةِ لنظريَّةِ النَّص، ودائمًا النَّصُّ يَفرضُ هيبَتهُ طبعًا هذا إنْ كانَ لهُ هيبة، ويُشبعُ الدِّماغَ الأيمنَ بالوهمِ ويلجمهُ لجامَ الخوفِ وكل أوامرَهُ تَنبعُ مِنْ تهديدٍ ووعيدٍ وارتداءِ ثوبِ العبوديَّة، وحتَّى علماءُ الوهمِ يَتغنَّونَ بالعبوديَّةِ حيثُ قالَ أحدُهم مُستشعرًا بالعبوديَّة:

ومـمَّا زادني شـرفًا وتـيــهًـا
وكدتُ بأخمَصـي أطأُ الـثُّريا
دخولي تحتَ قولِك يا عبادي
وأنْ صـيَّرتَ أحمدَ لي نـبيّا

يعني، تكرارٌ واضحٌ منَ الانعتاقِ منَ العبوديَّةِ والدُّخولُ في عبوديَّةٍ أخرى،

ولم تأتِ فكرةُ العبوديَّةِ عن عبثٍ ولم تدخُلْ إلى الدِّماغِ الأيمنِ بهذهِ السُّهولةِ بل راحَ ضحيَّتها ملايينُ البشرِ حتَّى عصرِنا هذا، وليسَ حديثي هُنا فقط لثُلَّةٍ مِنَ المؤمنينَ بالوهمِ بل هذا على عمومِ الدِّيانات، ويُطلقونَ على الوهمِ إيمانًا

وقِيَمًا ومثاليَّاتٍ وهَلُمَّ جَرَا مِنْ تَقنُّعٍ مُمنهَجٍ عبرَ كافَّةِ العصورِ لفوضى الوهم،

وراحَ مَنْ يُعرِّفْ الوهمَ كالتَّالي:

التَّمثيليَّاتُ الصَّامتةُ بأنَّها مجموعةٌ منَ الأوهامِ التي أنشأَتْها الوسائلُ الماديَّة، حيثُ يَخلُقُ ممثِّلُ فنَّ الحركاتِ الإيحائيَّةِ وهمًا تمثيليًّا باستخدامِ أشياء غير مرئيَّة، تَستغِلُّ الأوهامُ افتراضاتِ الجمهورِ عن العالمِ المادِّي، وتَشملُ الأمثلةُ المشهورة:

الجدرانُ وصعودُ السَّلالمِ والميلُ ونزولُ السَّلالمِ والسَّحبُ والدَّفعُ...وغيرها.

ويَرتكزُ الوهمُ على الجانبِ الأيمنِ للدِّماغِ وتَنتشرُ فوضى الوهمِ مع التَّصادمِ معَ الواقع، والمجتمعُ المُنغلِقُ يعيشُ في بحبوحةِ الوهمِ ويُطلقُ عليها تَشريعًا منَ السَّماءِ يَجبُ أنْ يُفرَضَ ولو بالقوَّة، ومع أنَّ:

(لا إكراهَ في الدِّين)

هناكَ مَن يَسعى للإكراهِ بوسائلَ شتَّى حتَّى يُثبتَ أنَّ الدِّينَ والدُّنيا والبشريَّة للهِ واللهُ خيرُ الحاكمين، وكلُّ ما ذكرتُه مَبنيٌّ على عدَّةِ عواملٍ أساسيَّةٍ كالخداعِ البصريِّ والأوهامِ السَّمعيَّةِ وأوهامِ حاسَّةِ اللَّمسِ والحواسِ الأخرى، وللأسفِ تَنتجُ اضطراباتٌ بينَ ما يَعتقدهُ الفردُ وبينَ الواقع، فهوَ في صراعٍ دائمٍ على ما تَلقَّاهُ بالفطرةِ وبينَ الحاضرِ الذي يُخالفُ الواقعَ وقد قالَ العلماءُ أيضًا:

الوهمُ هو تَشوُّهٌ يَحدثُ للحواس، ويَكشِف كيفَ يُنظِّمُ الدِّماغُ ويُفسِّرُ الإثارةَ الحسيَّة. ومع أنَّ الأوهامَ تُشوِّهُ الحقيقة، يتَشاركُ فيها عادةً مُعظمُ النَّاس.

على مدارِ حياةِ الموهومِ يَعيشُ الفردُ في زوبعةِ تناقضاتٍ حتَّى يُسلِّمَ عقلَهُ للنَّصِ

ويَنساقُ خلفَهُ كما الخرافِ التي تنساقُ خلفَ راعيها، وعلى الأغلبِ راعيها حراميها، لا بدَّ أنْ يكونَ هناكَ مصلحةٌ مِنْ ذلكَ وهناكَ كلامٌ جميلٌ قرأتُهُ في ما يَخصُّ اضطراب الوهم:

تشيرُ كلمةُ الوهمِ إلى معانٍ مختلفةٍ في الفلسفةِ الهندوسيَّة (مايا)

حدَّدتْ الكثيرُ منَ الفلسفاتِ الأحاديَّةِ الفرقَ بينَ الوهمِ والواقعِ بوضوح، وطبقًا للفلسفةِ الهندوسيَّة advaita (عدم الازدواجية)، يُعدُّ الوهمُ شيئًا غير واقعيٍّ وغير زائفٍ في نفسِ الوقت، ومنَ الشَّائعِ افتراض أنَّ الوهمَ فلسفةٌ هندوسيَّةٌ زائفةٌ تُميِّزُ بينَ مايا (الوهم) والباطل.

ووَفقًا لهذهِ الفلسفة، تُعدُّ فلسفةُ مايا صحيحةً في حدِّ ذاتِها، ولكنَّها غير صحيحةٍ مقارنةً بالحقيقة. وَوَفقًا لهذهِ الفلسفة، لا يُعدُّ الوهمُ عكسَ الحقيقةِ أو الواقع. ووَفقًا لهذهِ الافتراضات، ذكرَ فيداس أنَّ العالمَ كما

يَراهُ البشرُ هو مجرَّدُ وهمٍ (مايا). وهذا لا يَعني أنَّ العالمَ ليسَ حقيقيًّا. فالعالمُ يُعَدُّ صورةً حقيقيَّةً لشخصٍ في المرآة. العالمُ غير حقيقيٍّ بالمقارنةِ مع الواقع. ولكنَّ العالمَ لا يُعدُّ زائفًا أيضًا. فالباطلُ هو شيءٌ لا وجودَ له. وإذا طبَّقنا هذهِ الفلسفة على المثالِ السَّابق، لا يُعَدُّ الوهمُ وهمًا في الواقعِ ولكنَّهُ زيف. وذلكَ لأنَّ النَّاسَ يَميلونَ إلى أنَّ الوهمَ باطل، ووَفقًا لتعاليمِ أديشانكار، إنَّ العالمَ الذي نعتقدهُ واقعيًّا ليسَ واقعيًّا، ولكنَّه وهمٌ (ليسَ صحيحًا وليسَ باطلًا). إنَّ حقيقةَ العالمِ شيءٌ لا يُمكنُ تجربتُهُ إلاَّ عن طريقِ إزالةِ الهويَّة.

انتهى.

الوهمُ جزءٌ لا يَتجزَّأ منَ الإيمان، نحنُ موهومونَ بالأمل، الإيمانُ فيهِ أملٌ

ورضًا وعدمُ جزع، لذلكَ نجدُ معنى للحياةِ ولكنْ بغلافٍ مُسلمٍ للنَّصِّ فلا تَجدُ العقولَ تَتعبُ بل هي مرتاحة جدًا لأنَّها وجدَتْ جوابًا وهميًّا لكلِّ ما يَدورُ مِنْ حولِنا مِنْ حقيقة، قليلٌ منَ المؤمنينَ بالوهمِ يَنتحرونَ لأنَّهم وجدَوا وهمًا آخر لكلِّ الأوهامِ التي تَدورُ في أدمغتِهم، وفي الغالبِ العقولُ مغلقةٌ تمامًا بسببِ تراكماتِ الأسبابِ التي يُخشى الخوض بها لأنَّها تَمسُّ الذَّاتَ الإلهيَّةِ وتجعلُ منَ الفردِ ضحيَّةً مُتَّهمةً ربَّما يُفصلُ رأسُها عن جسدِها بسببِ التَّخلصِ منَ الوهم، ولا أخفيكَ سرًّا كلُّ الذينَ وقَعوا في الشَّكِّ وهرَبوا إلى الحقيقةِ قد وقَعوا في مُعاناةِ التَّوتُّرِ والقلقِ والخوفِ لأنَّ الحقيقةَ ليستْ وجبةَ آيس كريم نأكلُها ونستمتعُ بها بلْ على العكسِ تمامًا ستقعُ بالقلقِ والتَّوتُّرِ لأنَّ الجانبَ الأيسرِ للدِّماغِ يَفرزُ اضطراباتٍ واضحةٍ على حوارِ الباحثِ عن الحقيقةِ كالتَّوتُّر والقلقِ والخوف.

(النَّصُّ مريحٌ معك، ولكنْ معي هىء)

7

[فكرةُ الهروبِ فكرةٌ سيّئةُ السُّمعة، اِبقَ في مكانِكَ أفضَل لك]

طبعًا هذا العُنوان يَنطبقُ على المجتمعِ الملتِعن أبو أبوه، مُجتمعٌ مستلقٍ في علبةِ سردينٍ كامِلَة الزَّنخة، ماشي على مَبدأ:

(الزَّنخة زنختنا وما حدا له عندنا)

وله سمفونيَّةٌ ثانيةٌ بس باللَّهجةِ الشَّوارعيَّة:

(البيت دا طاهر وحيفضل طول عمرو طاهر)

ومد إيدك على المبخرةِ وجرِّب تبخِّر البيت، في الطَّرفِ الآخرِ مِنْ عدَّةِ التَّبخيرِ والتَّعقيمِ والنَّظافةِ الفكريةِ التي تُريدُ أنْ ترتَقي بمستوى العقلِ البشريّ هناكَ تَجثمُ مجموعةٌ منَ البشرِ يَدَّعونَ أنَّهم على حقٍّ وغيرِهم على ضلالٍ حتَّى ولو كانَ بينَهم ابنُ حرام، المهمُّ الكثرةُ والوفرةُ في مُنتَجِ الغباءِ المكرَّرِ بزيتِ خروع، لنْ يَسمحَ لكَ أيُّ أحدٍ مِنهم ببثِّ فكرةٍ مُنافيةٍ لفكرتِهم لأنَّ سواطيرَ الباطلِ تَدمغُ الحقيقةَ التي أتيتُ بها، فأنتَ بينَ عدةِ تصانيف موجودةٍ في كتابٍ محفوظٍ إمَّا الكفرُ وإمَّا الرِّدةُ وإمَّا الزَّندقةُ وإمَّا الحرامُ وإمَّا الضَّلال، وهذه الأدمغةُ يَتوسَّطُها برزخٌ منَ الباطونِ مدري مِنْ حجرِ الصَّوانِ أو معدنِ الرَّصاصِ الذي لا يَرحم، فهم واقعونَ بوهمٍ ولكنْ هناكَ جدرانٌ صلبةٌ لا يُمكنُ أنْ يهرعَ إليها الذي يَنوي مُواجهةَ ذاته، وبينَ الذَّاتِ والوهمِ وقعَتْ عيناي على عنوانٍ على موقعِ "سيِّدتي نت" حيثُ يقول:

(هربَتْ مع حبيبِها منَ الأقصر فقتَلها شقيقُها ووالدُها في القاهرة)

القاهرة/محمد الجارحي تاريخ: السبت 23-11-2019 للميلاد.

ذكرَ التَّقرير:

تمرَّدتْ فتاةٌ على عاداتِ وتقاليدِ الصَّعيد، كونها تَعيشُ في محافظةِ الأقصر جَنوبي صعيدِ مصر، وهربتْ مع حبيبِها إلى محافظةِ القاهرةِ بعد أنْ رفضَتْ أسرتُها زواجَهما، لم تَكُنْ تدركُ الفتاةُ أنَّها لم تختَر الحبَّ بل اختارَتْ السَّيرَ في طريقِ الموت، فتعقَّبها شقيقُها ووالدُها لمسافةِ (1300) كيلومتر حتَّى عَثَرا عليها في محافظةِ القليوبيَّةِ بمنزلِ حبيبِها فاستدرَجاها إلى محافظةِ القاهرةِ بزعمِ إعادتِها إلى منزلِ الأسرة،

لكنَّهما قتلاها وتخلَّصا مِنْ جُثَّتِها في القاهرةِ بدفنِها بمنطقةٍ مهجورةٍ بالقُطاميَّة.

وكشفَ قِطاعُ الأمنِ العامِ بقيادةِ اللِّواء "علاء الدِّين سليم" -مساعدُ وزيرِ الدَّاخليةِ للقطاعِ- غموضَ العثورِ على جثَّةِ فتاةٍ مدفونةٍ خلفَ مكانِ الجامعِ بمنطقةِ القُطاميَّة بالقاهرة، حيثُ تبيَّنَ أنَّ الفتاةَ منَ الأقصر وقتَلها والدُها وشقيقُها بعدَ رحلةِ تَعقُّبٍ طويلةٍ لارتباطِها عاطفيًّا بشابٍّ مِن محافظةِ القليوبيَّة.

وبحسبِ بيانٍ أمنيٍّ فإنَّ قِسمَ القطاميَّةِ بأمنِ القاهرةِ تلقَّى بلاغًا يُفيدُ العثورَ على جثَّةٍ لسيِّدةٍ مجهولةٍ بالعقدِ الثَّالثِ بملابسِها في حالةِ تَعفُّنٍ وبها طعناتٌ متفرقةٌ ومُكمَّمة الفمِ بقطعةِ قماشٍ بطريقِ العينِ السخنة القديم أسفل مواسيرِ خطِّ المياهِ المتروكة خلفَ مساكنِ

الجامعِ دائرة القسمِ وبجوارِها حقيبةُ يدٍ فارغةٍ وبعضُ الملابسِ الحريمي.

وأسفرَتْ جهودُ فريقِ البحثِ المشكَّلِ برئاسةِ قطاعِ الأمنِ العام وبمشاركةِ ضبَّاط مَباحِث القاهرةِ عن تحديدِ شخصيَّةِ المجني عليها، وتبيَّنَ أنَّها ربَّةُ منزلٍ تُدعى «سماح» 18سنةٍ تُقيمُ بدائرةِ مركزِ القرنة «بالأقصر» وأنَّ وراءَ ارتكابِ الواقعةِ والدُ المجني عليها خفير خصوصي «م.ب 58 سنة» وشقيقُها «علاء» 28 سنة، قُبِضَ عليهما عَقِبَ تقنينِ الإجراءاتِ باستهدافِهما بمأموريَّةٍ أسفرَتْ عن ضبطِهما، وبمواجهتِهما اعترفَا تفصيليًّا بارتكابِهما الواقعةَ لقيامِ المجني عليها عَقِبَ طلاقِها بالتَّوجهِ إلى محافظةِ القليوبيَّة والإقامةِ مع عاطلٍ «19» سنة مقيمٌ بدائرةِ قسمِ أوَّل شبرا الخيمة بـ«القليوبية» بمسكنهِ بصحبةِ والده.

واعترفَ المتَّهمانِ باصطحابِ المجنيَّ عليها بسيَّارةِ أجرةٍ منَ الشقَّةِ المُشار إليها وتوجَّها بها لمنطقةِ العثورِ على الجُثَّة، حيثُ قامَ المتَّهمُ الأوَّلُ بتكميمِ فمِها «باستخدامِ قطعةٍ منَ القماش» على طريقةِ ريَّا وسكينة وخنقَها وقامَ المتَّهمُ الثَّاني بذبحِها باستخدامِ سكِّينٍ فأودَيا بحياتِها وترَكا الجُثَّةَ بمكانِ العثور.

سماحُ ضحيَّةُ حب، لا سامحَ اللهُ قاتِليها، ولولا الانغلاقُ ما حدثَتْ هذهِ المجازرَ التي تَقتُلُ الحبَّ بتهمةِ غسْلِ شرَف العائلةِ الذي ليسَ لهُ صلةٌ بالشَّرف، أضحى الحبُّ أسيرًا يَسيرُ مُنكسرَ الجنون، ومع أنَّ الفتاةَ شبْهُ تَمرَّدتْ فقد دفعَتْ ثمنَ روحِها. الذَّاتُ ومواجهتها لو نزلَتْ في عقلِ رجلٍ شرقيٍّ ما وصلَ حالُ الذَّبحِ إلى هذهِ الطَّريقةِ البشعَة، وبالنَّهايةِ الكلُّ يَدعو هناك:

اللَّهم أعِزَّ الإسلامَ والمسلمين!

ولكنْ بماركةِ اِذبَحْ تَفلح.

تفووو

8

[أنتَ في دوَّامةٍ منَ المشاكلِ التي لنْ تنتهي، وإذا انتهتْ ستبحثُ عن مُشكلةٍ جَديدة، كُنْ مُطمئِنًّا]

ليستْ هذه مَزحَة على الإطلاق، لو فعلتَ جردَ حسابٍ عبرَ تاريخكَ الفذِّ كفردٍ ستَجدُ حياتَكَ مُرتبطةً بالمشاكلِ التي لن تنتهي، يا صديقي لا تَجري بعيدًا، لو نظرتَ في وقتكَ الرَّاهنِ إلى حالِكَ ستَجدُ بأنَّكَ واقعٌ في ورطةٍ وفي هذهِ اللَّحظةِ بالضَّبط، أنتَ الآنَ تُفكِّر بها.

يا إلهي!
أنتَ تُفكِّر كثيرًا بها.

هُنا لديكَ أحدُ ثلاثِ خياراتِ مطروحةٍ على طاولةِ دماغِكَ كي توهمَ نفسَكَ أنَّكَ مهتمٌّ أو غيرَ مهتم، وفي

كلِّ الخياراتِ سوفَ تتقنَّعُ لكي تَنجو مِنْ هذهِ الورطة، هذه المشكلةُ تُسبِّبُ لكَ تَوتُّرًا وضغطًا نفسيًّا مُرتفعًا وقلقًا منَ المجهولِ وهذا التَّوتُّرُ يَجلبُ لكَ توتُّرًا آخرَ اسمه:

(تَوتُّرُ التَّوتر)

وكلُّ توتُّرٍ يُولِّدُ تَوتُّرا وهكذا أنتَ في دوَّامةٍ منَ التَّوتُّراتِ والخيراتِ كالآتي:

أولًا: تجاهُلُ المشكلةِ وهذا النَّوعُ منَ التَّجاهلِ سوفَ يُسببُّ لكَ مشكلةً أخرى على حسبِ المشكلةِ الآنيَّةِ وتلجأُ إلى اللَّعبِ بالبلاستيشن أو إلى الخروجِ مع الأصدقاءِ أو إلى مشاهدةِ فلمٍ سخيفٍ مثلكَ أو إلى قراءةِ كتابٍ عُنوانُه مثيرٌ للاهتمامِ مثلَ هذا الكتابِ مثلًا، تبًّا لي أنا أمدحُ نفسي في هذهِ اللَّحظة، المُهمُّ لا علينا أنتَ الآنَ واقعٌ في الوهمِ وتتحدَّى المشكلةَ بعدمِ

المبالاةِ وكنْ واثقًا أنَّكَ في أزمةٍ سوفَ تولِّدُ أزمةً أخرى إنْ لم تَتدارَكْ الأمرَ بكلِّ عقلانيَّة. أغلبُ منَ يُسخِّفْ المشكلاتِ هم مُدمِنو المُخدِّرات والكحولِ والمرغوانة، سببُ وصولهم إلى سُدَّةِ الجنونِ هو عدمُ اكتراثِهم للمشكلةِ

وتراكمَتْ عليهم المشاكلُ حتَّى وقَعوا ضحيَّةَ الإدمان، هم أوجَدوا مبرِّرًا للإدمانِ حتَّى يَخرجوا منَ الأزمةِ في مخيِّلتهم التي أوصلتْهُم إلى هنا، ولو عرفْتَ ما هي أعراضُ الإدمانِ لسوفَ تُجَنُّ كونكَ لم تُجرِّب، فخُذْ بعضَها لتتثقَّف:

الشُّعورُ بضرورةِ تعاطي المخدِّرِ بانتظام، وقد يَكونُ ذلكَ على أساسٍ يوميٍّ أو حتَّى عدَّةِ مرَّاتٍ في اليوم.

الحاجةُ الملحَّةُ إلى المخدِّر بحيث تَحجُبُ التَّفكيرَ في الأفكارِ الأخرى.

الحاجةُ إلى تعاطي المزيدَ منَ المخدِّرِ للحصولِ على التَّأثيرِ نفسه مع مرورِ الوقت.

تعاطي كميَّاتٍ أكبرَ منَ المخدِّرِ في فترةٍ زمنيَّة أطوَل منَ المخطَّطِ لها.

الحرصُ على الاحتفاظِ بكميَّةٍ إضافيَّةٍ منَ المخدِّر.

إنفاقُ النُّقودِ على المخدِّراتِ حتَّى عندَ عدمِ استطاعةِ تَحمُّلِ هذه النَّفقات.

عدمُ الوفاءِ بالالتزاماتِ ومسؤوليَّاتِ العملِ أو تقليلِ المشاركةِ في الأنشطةِ الاجتماعيَّةِ أو التَّرفيهيَّةِ بسببِ تعاطي المخدِّرات.

الاستمرارُ في تعاطي المُخدِّر، مع أنَّ المدمنَ يَعرفُ بالمشاكلِ التي تُسبِّبُها في حياتِهِ أو الأضرارِ الجسديَّةِ أو النَّفسيةِ التي تُصيبُه.

القيامُ بأشياءٍ لا يفعلُها الشَّخصُ في الأحوالِ الطَّبيعيَّة مثل، السَّرقة ليحصلَ على المُخدِّرات.

القيادةُ أو القيامُ بأنشطةٍ خطيرةٍ أخرى في أثناءِ الوقوعِ تحتَ تأثيرِ المخدِّرات.

قضاءُ وقتٍ طويلٍ في الحصولِ على المُخدِّرِ أو تعاطيهِ أو التَّعافي مِنْ آثارِه.

الفشلُ في محاولاتِ الإقلاعِ عن تعاطي المخدِّر.

الشُّعورُ بأعراضِ الانسحابِ عندَ مُحاولةِ التَّوقُّفِ عن تعاطي المخدِّرات.

المشكلاتُ في المدرسةِ أو العمل ـــ عدمُ الذَّهابِ إلى المدرسةِ أو العملِ بطريقةٍ متكرَّرة، والعزوفُ المفاجئُ عن الأنشطةِ المدرسيَّةِ أو العملِ أو انخفاضِ الدَّرجاتِ أو أداءِ الأعمال.

مشكلاتٌ صحيَّةٌ وبدنيَّة ـــ فقدانُ الطَّاقةِ أو الدَّافع، أو فقدانُ الوزنِ أو اكتسابِه، أو احمرارُ العين...

إهمالُ المظهرِ ـــ العزوفُ عن الاهتمامِ بالملابسِ أو العنايةِ بها أو بالمظهر...

تغييراتٌ سلوكيَّةٌ ـــ الجهودُ المبالغُ بها لمنعِ أفرادِ الأسرةِ مِن دخولِ غرفتِهِ أو اتِّباعِ السِّريَّةِ بشأنِ مكان

الذَّهابِ مع الأصدقاءِ أو التَّغييراتِ السَّيئةِ البالغةِ في السُّلوكِ أو العلاقاتِ مع الأسرةِ أو الأصدقاء.

المشكلاتُ الماليَّةُ ـــ طلبُ الأموالِ فجأةً مِن دونِ تبريرٍ معقولٍ أو اكتشافُ ضياعِ الأموالِ أو سرقتِها أو اختفاءُ المقتنياتِ منَ المنزلِ مما قدْ يدلُّ على بيعِها لدعمِ شرَاءِ المخدِّرات.

وهلمَّ جرَا، أخذتُ هذا الكلامَ مِنْ أحدِ المواقعِ للأمانةِ العلميَّة، مع أنَّني كنتُ أحدَ المُدمنينَ وأعرفُها وخرجتُ منها ولكنَّها ليستْ بالسُّهولةِ التي يتصوَّرُها أيُّ شخصٍ لم يُجرِّب، بكلِّ الأحوالِ جرِّبها لن تخسرَ شيئًا.

ثانيًا: محاولةُ حلِّ المُعضلةِ عاطفيًّا، هذا الجانبُ منَ الحلِّ يكونُ مبنيًّا على الدراما، وهُم في كبتولةِ عقدٍ نفسيَّةٍ لأنَّهم يَستخدمونَ الجانبَ الأيمنَ في معالجةِ المُعضلة وهم أشخاصٌ حسَّاسونَ في المجتمعِ كالرَّسامِ

مثلًا لا يستطيعُ التَّعبيرَ عن المشكلةِ سوى بالرَّسمِ فترى لوحاتِهِ تُعبِّرُ عمَّا في داخلِهِ وفي أغلبِ الأحيانِ يُغطِّي الرَّسامُ هذهِ اللَّوحةَ بألفِ ألفِ لُغزٍ حتَّى لا يكتشفَها أحدُ محبِّي الرَّسمِ

ويعرفَ مشاكلَه، هؤلاءِ الأشخاص لديهم مصيبةُ عدمِ الثِّقةِ بالنَّفسِ ولا بأحدٍ غيرِهم، ويُملي اللَّوحةَ بتصاميمَ غريبة

وبألغازٍ رهيبةٍ وحتَّى عندَ الموسيقيين

والكتَّابِ والأدباء، جميعُهم هُنا يَلجؤونَ إلى الأقنعةِ حتَّى لا يَعرفهم أحدٌ وهم واقعونَ في المشكلة،
والمشكلةُ تولِّدُ لهُ مشكلةً نفسيةً وحقيقيَّةً وأمثلةً تتضمَّنُ العلاماتِ والأعراضِ كما يلي:

الشُّعورُ بالحزنِ أو الكآبة.

التَّفكيرُ المُشوَّشُ وضعفُ القدرةِ على التَّركيز.

المخاوفُ الشَّديدةُ أو القلقُ أو الإفراطُ في الشُّعورِ بالذَّنب.

تغييراتٌ حادَّةٌ في الحالةِ المزاجيَّةِ ارتفاعًا وانخفاضًا.

الابتعادُ عن الأصدقاءِ والأنشطةِ المُعتادة.

التَّعبُ الشَّديدُ وانخفاضُ الطَّاقةِ أو مشاكلُ النَّوم.

الانعزالُ عن الواقعِ (الأوهام) أو البارانويا أو الهلاوس.

عدمُ القدرةِ على مُواجهةِ المشاكلِ اليوميَّةِ أو الضُّغوطات.

صعوبةٌ في الاستيعابِ ومشكلاتٌ في فهمِ المواقفِ والأشخاصِ والتَّعاملِ معهم.

تغيُّراتٌ كبيرةٌ في عاداتِ الأكل.

تغيُّراتٌ في الدَّوافعِ الجنسيَّة.

الغضبُ الشَّديدُ أو العدائيَّةُ أوالعُنف.

التَّفكيرُ في الانتحار.

الأعراضُ أخذتُها مِن أحدِ المواقعِ للأمانةِ العلميَّة وأنا قبل 2020 للميلادِ كنتُ ضحيةَ هذهِ الأعراضِ كوني كنتُ مُتبحِّرًا في عالمِ الخيالِ وكنتُ فاقدًا لذَّةَ الحقيقة.

ثالثًا: نادرًا ما يَفقهُ الفردُ هذا النَّوعَ مِنْ مُعالجةِ المشكلةِ وعلى خطِّين إمَّا أنْ تتعايشَ معَ نظرية:

(المشاكل لن تنتهي)

أو أنْ تواجهَ الذَّات وهوَ ما يُدليه عليكَ النِّصفُ الأيسرُ منَ الدِّماغِ ويُقنعُكَ تمامًا بنظرية:

(المشاكل لن تنتهي)

تصرَّفْ مع المشاكلِ بلطفٍ وعقلانيَّةٍ حتَّى تستطيعَ مواجهةَ المشكلةِ التي بعدها، الأمُّ في المنزلِ تُفكِّرُ بأنَّ المؤونةَ قد نفدَتْ وتَعُدُّ هذهِ مُشكلةً وعندما تأتي المؤونةُ تُفكِّرُ بفستانِ ابنتِها عندَ الخيَّاطِ

وعندما يأتي الفُستانُ تُفكِّرُ بالدَّورةِ الشَّهريةِ وعندما تَنتهي الدورةُ الشَّهريةُ رامزٌ علاماته ليستْ جيِّدة، وتبدأُ المشاكلُ تأتي منَ كلِّ فجٍّ عميق.

نحنُ نعيشُ بسلسلةٍ مُتناهيةٍ مع الأشياءِ العاديَّة ونحنُ نُكبِّرُ الموضوعَ حتَّى يَقضي علينا. لو شاهدتَ المشرَّدينَ في أصقاعِ الأرضِ سوفَ تعرفُ أنَّ المواجهةَ كانتْ أكبرَ منْ أنْ يَؤويهِم بيتٌ صغيرٌ أو فراشٌ دافئ، فقط أنتَ بحاجةٍ إلى وقفةِ عزٍّ على قولات أبو العزِّ والتَّصرفِ بدماغِكَ الأيسرِ لتمرَّ على الحياةِ بسلام.

9

[التَّحرُّرُ منَ الأشياءِ التي تُزعِجُنا، إزعاجٌ آخر ولكنْ بنكهةِ البَشاميل]

الباب يلي بتخُش منو الريح إلعن يلي نفضو واستريح، الفارقُ بينَ العاطفيينَ
والعقلانييَن هوَ امتطاءُ الجُمجمةِ فقط، يمكنُكَ أنْ تسألَني كيف؟

حسنًا، كيف؟

بديش أكتبلك! أو قلك راح أكتبلك مع أني بقص إيدي اليمين إذا راح تفهم، نحنُ تحدَّثنا آنفًا عن تقسيمِ الدِّماغِ وما يُثيرُ لعابَهُ وما يستوجبُ استيعابَهُ وما يُمكنُ أنْ نضبطَ مخالبَه، المجالُ الجويُّ واسعٌ طالما أنَّ

المساحةَ حرةٌّ للنِّقاش، نحنُ ننزعجُ مِنْ أتفهِ الأشياءِ التي تَحدثُ معَنا إنْ كانتْ تَتركُ بنا أثرًا عضويًّا أو أثرًا حسيًّا وعاطفيًّا ومع أنَّني لا أؤمنُ بالحبِّ فسَألجأُ لكَ بشرحِ العباراتِ بلغةِ أهلِ الحبِّ على سيرةِ مُسلسل (أهل الغرام) عندما نُجرَحُ بالسِّكينِ أو تَدخلُ في يدِنا شوكةٌ أو يَلتهبُ جرحٌ بسببِ حديدةٍ اخترقَتْ جلدَنا ننوحُ كالأرملةِ التي ودَّعتْ زوجَها قبلَ ساعةٍ مِنْ خروجِ التَّابوتِ خارجَ عتبَةِ البيتِ ونَذرِفُ الدُّموعَ كما كنَّا في الصِّغرِ ونُضخِّمُ الانفعالَ بحجم:

(إذا زُلزلتِ الأرضُ زلزالَها، وأخرجتِ الأرضُ أثقالَها)

لأنَّنا نحنُ مجموعةُ انفعالاتٍ غير مدروسةٍ تَصنعُ منَ الحبَّةِ قُبَّة ومنَ الصَّرصورِ فيلًا وبدَلَ أنْ نعالجَ الانزعاجَ نرمي التُّهمَ جزافًا على غيرِنا كالأطفالِ تمامًا، العقلُ الأيمنُ هو سببُ هذهِ الآفةِ يُعالجُ الأمرَ

بالمسكِّناتِ ويَبقى يُعاني طيلةَ حياتِهِ الضَّائعةِ ويَخلُقُ التَّفاهاتِ ليجعلَ مِنْ كينونتِهِ ضحيَّةً كي يحصلَ على استعطافِ مَن حولِه، إنَّهُ يُحاولُ أنْ يُشعِرَ بهِ غيره وأقسمُ لكَ إذا عبَّرَهُ أحدٌ سوى ببعضِ الكلماتِ الملفوفةِ بالأحرفِ المشاعريَّة:

طوِّل بالك يا رجل.

قدَرُ الله.

معليش بتهون يا مدام.

بُكرى أحلى.

الأيامُ أمامَكَ جميلة.

بدها صبر.

وبدنا نتحمَّل كلمةَ (بدها) لأنَّ تفاهةَ العاطفيينَ تَستوجبُ التَّضامنَ العاطفيَّ على مبدأِ جماعةِ الفيسبوك (حطِّلي لايك بحطِّلك لايك) يعني واحدةٌ بواحدة،

وخود على ثقالةِ الدَّمِ مِنْ استعطافٍ افتراضيٍّ وهميٍّ وكاذب، وكلُّ مدَّةٍ يَنشرُ السيِّد مارك سمايلًا جديدًا بدءًا مِنْ أضحكَني وانتهاءً بأحضُنَني، تَحرُّرٌ مِنْ مبدأ: العينُ بالعينِ واللَّايكُ باللَّايك، كلُّ هذهِ العجائبُ الافتراضيَّة سببها جانبٌ أيمنٌ يضخُّ العواطفَ الافتراضيَّةَ والتَّافهةَ التي لا تَمسُّ خيرًا للبشر، ونعودُ إلى الجانبِ الأيسرِ يا جميلة أو يا جميل.

دائماً الواقعيُّونَ يَبحثونَ عن مضادٍّ حيويٍّ للانزعاجِ كعدمِ المبالاةِ الإيجابيَّة، وتقولُ الكاتبةُ "إسلام سمور" في تاريخ 12 فبراير 2019م:

أسبابُ اللَّامبالاة:

أسبابٌ عضويةٌ أو نفسيَّة، يُمكنُ أنْ يُصابَ الشَّخصُ باللَّامبالاةِ نتيجة عَوامِل جسديَّة أو عضوية أو نفسيَّة مثل: الإصابةِ باضطرابِ الفُصام أو الإصابةِ بالسَّكتةِ الدِّماغية أو مرضِ باركنسون (بالإنجليزية: Parkinson's Disease)، أو الشَّللِ فوق النَّووي التقدُّميّ (بالإنجليزية: Progressive Supranuclear Palsy)، أو مرضِ هنتنغتون (بالإنجليزية: Huntington's Disease)، أو خللٍ في الغدَّة الدَّرقية، أو اضطرابِ الجهازِ النطاقي (بالإنجليزية: Limbic System)، أو الإصابةِ بالخرفِ كالزَّهايمر، أو الخرفِ الوعائيّ (بالإنجليزية:

Vascular Dementia)، أو الخرفِ الجبهيّ الصَّدغيّ (بالإنجليزية: Frontotemporal Dementia)، أو الاكتئابِ، أو اضطرابٍ ثنائيّ القطب، إضافةً إلى الإفراطِ في تَناولِ بعض الأدوية الحيويةِ كالعقاقيرِ المُسكِّنة للآلام.

وتضيفُ أيضًا:

عواملُ وعاداتٌ حياتيَّةٌ

يُمكنُ إصابة الشَّخصِ باللاَّمبالاةِ نتيجة لأساليب الحياةِ المُتَّبعة؛ كاضطرابِ النَّوم، أو الشُّعورِ بالتَّعب، أو لسوءِ التَّغذية، وعدمِ ممارسةِ الأنشطةِ الرياضيَّة، إضافةً إلى تأثيرِ بعضِ العوامل الأخرى على الإصابةِ باللاَّمبالاة، كالأفكارِ السَّلبيَّةِ عن الذَّات، وعدمِ الشُّعور بقيمتِها، وتَجنُّبِ الإقدامِ على فعلِ أشياءَ مُعيّنة خوفًا منَ الفشل، أو المرورِ بموقفٍ مُخيِّبٍ للأمل، أو الشُّعورِ بالملل، أو عدمِ القدرةِ على تحقيقِ الأهداف.

انتهى.

تفعيلُ زرِّ عدم المبالاةِ في الدِّماغِ اليساريِّ مهمٌّ جدًّا للتَّعايُشِ مع أزْمةِ الانزعاجِ وهوَ محاولةٌ لفرضِ سيطرةِ الدِّماغِ على الواقعِ وتطهيره بالانزعاجِ بمواجهةِ الذَّاتِ ولكنْ بشرطِ ألاَّ تتناولَ المخدَّراتِ لنعودَ إلى صفاءِ الذِّهنِ

وهكذا.

10

[فارِقونا مُبتسمين، سأفعلُها يومًا ما]

أحبُّ الشَّوارع، المُتسوَّلين، عارضاتِ الهوى على أرصفةِ الجِنس، باعةَ المرغوانة، الحاناتِ العتقيةِ المُكتظَّةِ بعشَّاقِ البيرة، مُرتادي البُودرة البيضاءِ بكلِّ مُكوّناتِها، الكلابَ الضَّالة، والنِّساءَ المطلَّقاتِ والأراملَ والعَوانِس، الرجالَ الذين لم يُحالفْهُم الحبُّ بعدَ سنِّ اليأس، الأفرادَ الذين يَعيشونَ ويَرحلونَ بفوضاهُم، قليلي النَّصيب كما نقولُ لهم، الفاشلينَ والباحثينَ عن بَصيصِ أملٍ لمواجهةِ معركةِ المثاليَّة، العقولَ التي أُشرِعَتْ في خيالِهم راياتُ الاكتئابِ

والملَلِ والوحدةِ والقلقِ والتَّوتر، الأيتامَ

واللُّقطاءَ وأبناءَ الحرام، الرَّحَّالينَ بلا اسمٍ وبلا وطنٍ وبلا هويَّة، العازفينَ على أطرافِ الأرصفةِ الذينَ يَجْنونَ مِنْ عزفِهم سعرَ كأسٍ مِنَ الوسكي وسندويش

كَبَاب تركي، الخالينَ مِنَ الأمانِ والإيمان، ضحايا الجانبِ الأيمنِ منَ الدِّماغ، العُزبَ الغرباءَ المُنقِّبونَ عن جسدٍ باهتٍ للرَّغبة، أحبُّهم لأنَّهم لا يَتوارونَ عن الخطأِ ولا يَتقنَّعونَ بالقيمِ والدِّينِ والمثاليَّة.

وهناكَ مَنْ حالفَهم حظُّ النُّجوميَّةِ ولكنَّهم ما زالوا يَشعرونَ أنَّهم أبناءُ الشَّارع ومِنْ عامَّةِ الشَّعبِ البائِس، وما فعَلُوا شيئًا يُخالفُ كمشةَ المبادئِ التي تَوارثتَها مِنَ الطَّبقةِ الإقطاعيَّةِ بحجَّةِ أنَّ الفردَ أصبحَ ذَا قيمةٍ بينَ النَّاس، ويَلجموا الفردَ بالكمالياتِ والتَّرفُّعِ عن الأشياءِ التي بينَهُ وبينَها صِلَة قرابةٍ وحب، إلى هذا اليومِ أتذَكَّرُ عندما كنَّا صغارًا ننامُ على بلكونةِ المنزلِ في الطَّابقِ الثَّاني، أتذكَّرُ صوتَ جدِّي في السَّاعةِ الثَّالثةِ في مُنتصفِ اللِّيلِ وهوُ يَصرُخ:

يلا يا أولاد فيقوا على الحصيدة.

أعرفُ أنَّني واحدٌ مِنْ ضحايا الخيالِ

ولكنَّني استيقظتُ عندما عرَفتُ بجانبِ دماغي الأيسر ألا وهو الواقعُ والحقيقة، في تاريخ (15) ديسمبر من عام (2019) للميلاد وضعتُ حدًّا لمهزلةِ الخيالِ

وعاهدتُ نفسي ألاَّ أكذبَ بحجّة أنَّ خيالي واسعٌ وإلى هذهِ اللَّحظةِ وأنا أتذكَّرُ صوتَ أبي وهوَ يقولُ لي:

(يابة أنتَ خيالَك واسع)

استيقظتُ على صوتِ أبي في هذا التَّاريخِ وتوقَّفَ كلُّ شيءٍ عن الحركةِ بعدَ مرضٍ ألمَّ بي، وأيقنتُ أنَّ هناكَ عالمٌ حقيقيٌّ يَنتظرُني وقد خطفَني مِنْ العالمِ السَّابقِ لأصحو على الواقع، ربَّما لو لمْ أكُنْ مُتعقِّلًا لكُنتُ الآنَ أطاردُ الجنسَ الرخيصَ وأمارسُ هوايةَ العربدةِ وأدخِّنُ المرغوانة وأشتَمُّ السِّحرَ الأبيضَ بكافَّةِ أنواعِهِ بُنيانًا على أنَّني في قارةِ مُنفتحةٍ بها الممنوعات التي كانَ أبي يُحذِّرُنا منها وأغبُّ منَ المحضوراتِ بإفراطٍ

ولكنْ هناكَ شيءٌ أنقذَني بعدَ ولادةٍ قيصريَّةٍ لحياةٍ جديدة، أنا بعد أوَّلِ يوم مِنْ يناير مِن عامِ 2020 للميلاد يَختلفُ جذريًّا عن الأعوامِ الثَّلاثينَ التي ضاعَتْ وأنا أحصدُ الشَّوكَ في ليلةٍ مُظلمة، وخرجتُ إلى النُّورِ لأُنكرَ نفسي السَّابقة، فمنْ كانَ يَعبدُ زهيرَ فإنَّ زهيرَ قد مات ومنْ كانَ يَبحثُ عن الحقيقةِ فإنَّ الحقيقةَ حيَّةٌ بلا اسمٍ

وحاشاها أنْ تَموت.

العالمُ لم يَعُدْ يُريدُ أنَ يَتقبَّلكَ بوجهِكَ الحاضرِ لأنَّهم اعتادوا على هيكلٍ قديمٍ وروتينيّ وخياليٍّ يتَماشى مع مصالحِهِم، وكنتُ أستنزفُ كلَّ الوقتِ لإرضاءِ هذا

وذاكَ ووصلتُ حدَّ التَّعبِ لأواجهَ ذاتِي بكلِّ واقعيَّةٍ وكانَ الأمرُ صعبًا جدًّا حتَّى اضطررتُ للذَّهابِ إلى طبيبٍ نفسيٍّ في مركزِ حمايات في فيينا، لم يكفِني طبيبٌ واحدٌ لألجأَ لطبيبٍ ثانٍ وثالثٍ حتَّى اكتشفتُ أنَّني أنكرُ ذاتي، ومع كلِّ تلكَ الهزائم ما زلتُ مصرًّا على معرفةِ معنى وُجودي في الحياة.

كتبَ لي الطَّبيبُ النَّفسيُّ عدَّةَ أدويةٍ للسَّيطرةِ على هياجِ الحقيقةِ وأخبرَنِي الطبيبُ الأوَّلُ بكتابةِ كل ما أراهُ حقيقيًّا إنْ كانَ هذا الأمرُ يُخفِّف عن ذاتي.

وبدأَ مشوارُ البحثِ عن الذَّات، أوَّلُ خطوةٍ فقدتُ بها أخواني فهم قَطَعوا وصلَهمْ بي، وبعدَ ذلكَ فقدتُ مجموعةً منَ الأصدقاء، واستمرَّ البحثُ حتَّى بقيتُ وحيدًا لا يَربطُني بهذا الكونِ سوى أفرادٍ افتراضيينَ بيني وبينَهم بعضُ القواسمِ المشتركةِ بالأفكار، وكلُّ مَنْ قاطعَني كانَ يُردِّدُ المقولةَ التَّالية:

(بس يرجع زهير الذي نعرفه سنعودُ إليكَ تدريجيًّا)

بالبحثِ عن هذهِ العبارةِ وتعليلِ ما فُعل بي مِنْ قَطيعةِ وصلٍ وهمزةٍ وهميَّةٍ للألفِ المقصورةِ أوَّلُ شيءٍ فعلتهُ: أنَّني لن أكتبَ الرِّوايةَ بعدَ الآن؛ لأنَّها جزءٌ مِنْ خرَابي،

وثانيًا: الذي يُريدُني سيقبَلُني كما أنا بإيجابيَّاتي وسلبيَّاتي، وثالثًا: مَنْ يريدُ التَّخلِّي عنِّي سيبحثُ عن بصيصِ مُبرِّرٍ ليَرحل، وفي النِّهايةِ جميعُنا سيرحلُ حيثُ الظَّلام ويَتركُ عالمَ الكماليَّاتِ لأهلِه، ودائمًا أحسدُ مَنْ وصلَ بهِ الحالُ أنْ يرحلَ بصمتٍ بجرعةٍ زائدةٍ منَ المخدِّراتِ أو ابتلاعِ كميَّةٍ منَ الأدويةِ أو مشنقةٍ تَفصلُهُ عن عالمِ الهراءِ كالممثِّلِ الأمريكيِّ المشهور:

(روبن ويليامز)

عَنوَنَ موقعُ "اليوم السَّابع" في تاريخِ الخميس، 28 فبراير 2019 10:00 ص بقلم مارينا عادل، ما يلي:

(انتحرَ بعدَ الشُّهرةِ أشهرَ نجومِ هوليود، أنْهَوا حياتَهم بسببِ الاكتئاب)

طاردَ شبحُ الاكتئابِ العديدَ مِنْ نجومِ هوليود، الأمرُ الذي أدَّى إلى انتحارِ الكثيرِ منهم بطريقةٍ مُفاجئةٍ مع أنَّهم وصَلوا إلى أعلى قممِ النَّجاحِ والشُّهرة العالميَّة، ونجدُ أنَّ هناكَ أكثرُ منْ سببٍ وراءَ هذا الاكتئاب، إمَّا الوحدةُ وإمَّا الضُّغوطاتُ النَّفسيةُ وإمَّا أسبابٌ أخرى، لذلكَ تَعرَّف على فنَّاني هوليود الذينَ لجَؤوا إلى الانتحارِ المفاجئِ وَفقاً لموقعِ ritely.

منَ الغريبِ أن نجدَ الشَّخصَ الذي أحضرَ الفرحةَ والابتسامةَ إلى كلِّ بيوتِ العالمِ لم يَستطِع إحضارَ البهجةِ إلى شخصِه، فقد وُجدَ الفنانُ العبقريُّ والعالميُّ روبن ويليامز معلَّقًا في منزلِه بكاليفورنيا، وأكَّدَ الأطباءُ أنَّهُ كانَ يُعاني مِنْ مرضٍ بالعقلِ أدَّى إلى خللٍ في الأعصابِ ممَّا جعلَه يَشنقُ نفسَهُ في منزلِه، وذلكَ بعدَ وفاةِ شريكة عمرهِ المُفاجئ الذي لم يَتحمَّلْه.

انتهى التَّقرير.

في الوقتِ الرَّاهنِ أنا ألملمُ جُرأَتي بعدَ أنْ أنكرَتني ذاتي نكرانًا حقيقيًّا لألحقَ بروبن ويليامز وغيرِهم ولكنْ سأفعلُها وأنا مُبتسم، لأنَّ هذا الكتاب تحتَ عنوان:

(مواجهةُ الذَّاتِ ودعوةٌ عامَّةٌ إلى الجنون)

بل إلى العقلانيَّة لأنَّنا نحنُ البائسونَ منَ الحياةِ لا مكانَ لنا بينَ ترَّهاتِ القيَمِ
والكماليَّاتِ والمبادئِ وهلُمَّ جرَا مِنْ أوهام، إذا فهمتَ ما كتبتُهُ لكَ سوفَ تَفهمُ معنى الحياة.

11

[أنا آسفٌ، لقد أثبتَتْ المخدِّراتُ أنَّها أقوى منِّي]

لماذا نبحثُ عن حبٍّ على مقاسِ نصفِ دماغِنا الأيمن؟

دَعنا نُحلِّلُ عنوانَ النَّصِ والسُّؤالَ في الشَّطرِ الثَّاني، فلنَسألْ السُّؤالَ الذي سيُدخلُنا إلى إجابةٍ على العُنوانِ والسُّؤالُ مثلًا ماذا تعرفُ عن المخدِّرات؟

سوفَ أنسخُ لكَ نصًّا أعجبَني وأتوافقُ معهُ على حسبِ خبرَتِي السَّابقةِ التي تركتُها منذُ عام:

إدمانُ المخدِّرات، ويُسمى أيضًا اضطرابُ استخدام المواد، مرضٌ يُؤثِّرُ على مُخِّ الشَّخصِ وسُلوكِهِ ويؤدِّي

إلى العجزِ عن التَّحكُّمِ في استخدامِ العقارِ أو الدَّواءِ القانونيِّ أو غير القانوني، كما تُعَدُّ الموادُّ مثل الكحولِ والماريجوانا والنِّيكوتين منَ المخدِّرات. عندما تَكونُ مُدمنًا، قد تَستمرُّ في تَعاطي المُخدِّرات مع أنَّها تُسبِّبُ الأذى.

يمكنُ أنْ يَبدأَ إدمانُ المخدِّراتِ بالتَّعاطي التَّجريبيِّ لمخدِّرٍ على سبيلِ التَّسليةِ في مواقفَ خاصَّة ومِنْ أجلِ بعضِ النَّاس، ويُصبحُ تعاطي المخدِّرات أكثرَ تكرارًا. بالنِّسبةِ إلى آخرين ـ وخاصَّة مع الموادِّ الأفيونية ـ يَبدأُ إدمانُ المُخدِّراتِ بالتَّعرفِ على أدويةٍ بوصفةٍ طبيَّةٍ أو بالحصولِ على أدويةٍ مِنْ صديقٍ أو قريبٍ وُصِفَ لهُ الدَّواءُ طبيًا.

يَختلفُ خطرُ الإدمانِ وتَختلفُ سرعةُ تحوّلكَ لمدمنٍ على حسبِ العقار، وتَنطوي بعضُ العقاقيرِ

كالمسكِّناتِ الأفيونيَّةِ على خطرٍ أعلى وتتسبَّبُ في الإدمانِ بسرعةٍ أكبر مِن غيرِها.

مع مرورِ الوقت، قد تحتاجُ إلى جرعاتٍ أكبر منَ العقارِ لتصلَ إلى النَّشوة. وسُرعانَ ما تَحتاجُ إلى العقارِ لمجرَّدِ أنْ تشعرَ بأنَّكَ في حالةٍ جيَّدة، مع زيادةِ استخدامِكَ للعقارِ قد تَجدُ صعوبةً مُتزايدةً في الاستمرارِ مِنْ دونِ العقار. قد تُؤدِّي محاولاتُ التَّوقفِ عن استخدامِ العقارِ إلى إحساسٍ قويٍّ بالرَّغبةِ فيهِ وتَجعلُكَ مريضًا بدنيًا.

انتهى النَّصُّ الذي أخَذتُهُ مِنْ أحدِ المواقع.

إذا كنتَ شخصًا مدمنًا أو مجرِّبًا لأيَّةِ مادَّةٍ مُخدِّرةٍ سوفَ تَعرفُ معنى ما ذكرتُهُ في التَّقرير، وإذا كانَ لديكَ الرَّغبةُ بأنْ تُجرِّبَ سوفَ أختصرُ كلامَ أهل المبادئِ

والمثاليَّاتِ بكلمةٍ واحدةٍ فقط:

(جَرِّب)

وأنواعُ المُخدِّراتِ كثيرةٌ ومثيرةٌ تُسمَّى عندَ العربِ "السِّحر الأبيض" وعند المُتكلِّمينَ باللُّغة الإنجليزيَّة:

(Black Magic)

كمشةُ شعوذةٍ راح تشوف مِنْ أوَّلِ شمَّةٍ عبرَ الأنفِ نجومَ الظُّهرِ وما يُخفيهِ اللَّيلُ
ويَمحوهُ النَّهار، ويُمكنُ أنْ تسأل:

لماذا يُحرَّمُ هذا السِّحرُ دوليًّا مع أنَّهُ يَجعلُ منَ المرءِ شخصًا مُرتاحًا كما يَظُنُّ المدمنُ على المخدِّرات؟

أوَّلُ شيءٍ يَتعاطى المُدمنونَ تلكَ الجُرعاتِ للرَّاحةِ مِنْ ضغوطاتِ الحياةِ النَّفسيَّةِ والجسديَّةِ وليسَ لأيّ أحدٍ أنْ يلومَ المدمنَ على إدمانِهِ لأنَّ المُدمنَ كانَ وما زالَ مِنْ أكثرِ النَّاسِ حساسيَّةً للمشاعر، فلم يُحالفْهُ حظٌّ الهدوءِ ليشقَّ طريقَ السِّحرِ الأبيَضِ أو الأسود،

وللمخدِّراتِ أنواعٌ بدءًا منَ الماريجوانا التي أصبَحتْ شبهَ مَسموحٍ بها في الدُّولِ المُنفتحةِ وانتهاءً بالكريستال ميث،

وللأمانةِ العلميَّةِ سوفَ أذكرُها لك:

الماريجوانا (القنب)، الأفيون، الهيروئين، الكيتامين، ال إس دي، حبوب الإكستاسي (ام دي ام ايه)، الكوكائين، الأميفتامين،

وما زالَ تجارُ المافياتِ وقَرصنةُ العقولِ يبحثونَ عن الجديد. الجديدُ في الأمرِ أنَّني أعرفُ صديقةً لن أذكرَ اسمَها هنا لأنَّها حساسةٌ جدًّا وحفاظًا على اسمِها سوفَ أكتبُ أوَّلَ حرفٍ مِنْ اسمِها (ل)

جميلةٌ وطيّبةٌ وحسَّاسةٌ وفنَّانة بالرَّسم، مارسَتْ ضغوطاتُ الحياةِ عليها كلَّ وسائلَ القسوةِ بدءًا مِنْ عائلَتِها المُفكَّكةِ في الأرجنتينِ وانتهاءً بصداقاتِها في فيينا، سمحَ لها القدرُ أنْ تَتعرَّفَ على شابٍّ مُدمنٍ على المُخدِّراتِ ليجرفَها سيلُ مَنْ أحبَّتْهُ حيثُ الهاوية، صديقتي (ل) تدَمَّرتْ حياتُها كليًّا وأضحتْ أداةً لممارسةِ الضَّغطِ مِنْ قِبَلِ حبِّها الذي جمعَها بالمخدِّراتِ أكثر منَ الحب، وذاتَ ليلةٍ أَلقى بها إلى الشَّارعِ مع حقيبَتِها التي لا تمتلكُ غيرَها، فحاوَلتْ أنْ تنامَ في حديقةٍ ليَراها شابٌّ خَلوق:

هل أستطيعُ المُساعدة؟

نعم، إنَّني جائعة.

عرضَ عليها أنْ يَتناوَلا البيتزا معًا في مطعمٍ إيطاليٍّ في الحيِّ الرَّابعِ ووافقَت،
وفعلًا بعد أنْ أكلَتْ شكرتْهُ بكلِّ رقَّة،
وعرَضَ عليها أنْ يَحويها في بيتِهِ حتَّى تجدَ مكانًا آخر، وشرحتْ لهُ قصَّتَها مع حبيبِها السَّابق، وبدأَ بمساعدتِها لتتَخلَّصَ مِنْ هذهِ المصيبة، ولكنَّ صديقَها كانَ يُضايقُها بينَ كلِّ مُدةٍ وأخرى، وخضَعتْ للعلاجِ وأحبَّتْ مَن ساعدَها، وبعدَ أربعةِ أشهرٍ تركَتْ رسالةً لصديقِها الجديد:

(أنا آسفة، لقد أثبتَتْ المخدِّراتُ أنَّها أقوى منِّي)

وتركتْ المكانَ والزَّمانَ لتعودَ إلى عبوديَّةِ المُخدِّرات.
مؤلمةٌ تلكَ القصَّة، إنَّها ليستْ مِنْ نسجِ الخيال، كلُّ ما كنتُ أربطُهُ بينَ العُنوانِ والقصَّةِ والسُّؤال هو:

أنْ نكونَ حقيقيّينَ مع ذواتِنا، أنْ نمنحَها الثِّقةَ والحبَّ كما نمنحُ الآخرينَ الاهتمامَ والمشاعر، نحنُ قنابلُ مؤقَّتةٌ لرغباتِنا

وعلينا أنْ نُواجهَ الجنونَ بالحقيقةِ وأنْ ندثرَ الماضي بركلةٍ حقيقيَّةٍ مع الذَّات، أكبرُ الجرائمِ في التَّاريخِ حدثَتْ بسببِ المخدِّراتِ وعدمِ مُواجهةِ الذَّات، عمالقةُ التَّمثيلِ والموسيقى كانتْ نهايتَهم بسببِ جرعةٍ زائدةٍ بالمخدِّرات، وهناكَ أسماءٌ لم تُذكَر لأنَّ الأشخاصَ لا قيمةَ لهم في عالمِ السُّرعة والمثاليَّات، ونحنُ بحاجةٍ لمصارحةِ ذاكَ الطِّفلِ الذي أنكرناهُ مِن أجلِ فُلان وعَلتان، اِحذَرْ أنْ تَخسرَ نفسَكَ

وأنتَ تُجاملُ الآخرين، كما كنتَ مجنونًا

ومُتهورًا قبلَ مُواجهةِ الذَّات! كُنْ مجنونًا أيضًا عندما تَجدُ الذَّات. العالمُ يَتدمَّرُ بسببِ جرعةٍ شيطانية، العالمُ يُسحَرُ بمادَّةٍ تَفقدُ فيها ذاتكَ وشخصكَ نوافذَ كلِّ الآمالِ التي كنتَ ترسمُها. جريمةُ عِقابِ الذَّاتِ بالمخدِّراتِ مِنْ أسوأِ الجرائم، لا تَدعْنَا نفقدُك، يُمكنكَ أنْ تجنَّ

وتَصنعَ ثورةً ضدَّ رغبةٍ قدْ تَفقدُ فيها ما تَبقَّى مِنْ حياتِك.

أحبُّكم، اعتنوا بأنفسِكم جيّدًا وكونوا واقعيين.

12

[باتَ الحديثُ عن الحبّ كإشعالِ فتيلِ حرب]

تُجاري مع الحبّ فأرًا وقعَ في قفصِ مُختبرٍ في إحدى مشارحِ الجامعاتِ في الصِّين، المصيبةُ ليستْ في السُّقوط، الكارثةُ ما بعدَ السُّقوط، كأنَّ قائدًا دكتاتوريًّا قدَّمَ استقالتَهُ وعاثَ الشَّعبُ بالأرضِ خرابًا، الشُّعوبُ التي تَرعرَعتْ على الظُّلمِ والإقصاءِ واستُعمِلَ معها كلُّ أنواعِ العبوديَّة، وهي مُؤطرةٌ بشريطٍ طائفيٍّ زائفٍ ستفعلُ فوضى عارمةً في أرضِ الوطنِ لأنَّها تَعتقدُ أنَّ الدِّينَ سيُصلِحُ حالَها، وفي كنفِ الحالِ منَ المُحالِ تَحفظُ الحريَّةُ دينكَ بشرطِ ألَّا تفرضَ دينكَ عَنوة على بقيَّةِ الشَّعبِ بحجَّةِ أنَّكَ على صوابٍ وغيركَ على باطل، الحريَّةُ والعدالةُ تضبطُ مكنونَ العُنفِ الطَّائفيّ المشحونِ عبرَ سلكٍ وهميٍّ خارجَ إطارِ الوطنِ

والمواطنة، الحريَّةُ تحفظُ للآخرينَ أنْ يَعيشوا بسلامٍ وأمانٍ معك، الحريَّةُ ستجعلُكَ سعيدًا وستجعلُ الآخرينَ سُعداءَ بك، الحريَّةُ ألَّا تهدمَ بيتًا وألَّا تَقتلَ نفسًا وألَّا تُشعلَ حربًا، الحريَّةُ ليست تجربةً وأنت لستَ فأرًا وهذا الوطنُ ليسَ حقلَ تجاربٍ وليس سِلعةً تجاريَّة، الحريَّةُ ليستْ أنْ ترمي بقيودِكَ على الآخرينَ ولا أنْ يَصُبَّ الآخرونَ قيودَهم على عنقِك، الحريَّةُ فضاءٌ واسعٌ لا حدودَ لهُ وطالما أنتَ مُحترمٌ سيحترمُكَ جميعُ النَّاسِ

وأولهم أنا ذاكَ الفأرُ الذي سقطَ في مخبرٍ طبيٍّ صينيٍّ ومارسوا عليهِ كلَّ أنواعِ العلاجاتِ الكيميائيَّةِ وذبلَ جسدُهُ ورَقَّ عظمُهُ وخارتْ قواهُ واستنزفهُ الطَّلبةُ حتَّى سقطَ مغشيًّا عليهِ يُجابهُ الموتَ

والذَّاتَ وتركَ للطَّلبةِ المخبرَ والجامعةَ

والمسرحَ والملذَّات، لم يُلقوا بهِ بالنُّفاياتِ بل على العكسِ تمامًا سُلخَ جلدهُ ونُزِعَ عظمهُ وطُبخَ مع مَرقِ الأرزِّ وتناولتْهُ إحدى الطَّالباتِ في إحدى الاستراحاتِ

ونزلَ في معدةٍ وأمعاءٍ ونفايات.

تَجربَتي في الحياةِ التي تَفوقُ سنَّ ما بَعد بعد اليأسِ كذاكَ الفأرِ تمامًا، صحوتُ مِنْ غيبوبةِ العواطفِ وأنا ذبِلُ الجَناحينِ كيومِ ولدَتني أمّي لأنَّني تَحرَّرتُ مِنْ كلِّ مقاليدِ الدِّينِ والقوميَّةِ والوطنيَّةِ والعبثيَّة، ها هيَ الأيامُ تعبثُ بي كي أُريحَ ما تبَقَّى بي في مُستودعِ الورقِ لأتركَ الورقَ ولأعبثَ بأزرارِ الكيبورد، قالَ لي الطَّبيب:

(اُكتُب بلا قيود)

نظرتُ إلى المرآةِ كأنّني لأوَّلِ مرةٍ أشاهدُ ملامحي، أواجهُ الشَّيبَ الذي لا يُعيبُهُ عيب، التجاعيدُ بدأَتْ بالظُّهورِ حولَ أجفاني، اصفرارُ أسناني، شَعري الذي بدَأَ بالتَّساقطِ لتظهرَ صلعةٌ صغيرةٌ أعلى جبيني،

ابتسامةٌ جفَّت كل منابعُها، و رأسٌ مُقفلٌ بالذِّكريات، كلُّ ما في الأمرِ أنَّ الطبيبَ نصحَني قائلًا:

(أُكتبْ بلا قيود)

الخوف، التَّوتُّر، التَّوجس، الهُروب، الصُّعود، الهُبوط، القفز، التَّلميع، التَّصنُّع، التَّمثيل، الزَّحف، الجَري، المبادِئ، المثاليَّات، المُعتقدات، الموروث، القوميَّة، الوطنيَّة، الدِّين، وأنا هناكَ أتجرَّدُ مِنْ كلِّ شيءٍ حتَّى أبدو أمامَ ذاتي تعيسًا ومهانًا ووحيدًا ومسجَّى على تابوتِ الذَّات، كلُّ هذا الشُّعور فقط لأنَّ الطَّبيبَ أمرَني:

(أُكتبْ بلا قيود)

لا أستطيعُ فتحَ اللابتوب المليءِ بالذِّكريات، صورُ أُناسٍ كانوا هُنا حولي يَبتسمونَ ويَبكونَ ويَتغامزونَ ويُثرثرونَ ويَتناوبونَ لأخذِ مصلحةٍ ما في وقتِ ما في جغرافيةٍ ما في صراعٍ ما مع ذاتي،

ومهما كتبتُ عن الإذلالِ وتقصيري في حقِّ ذاتي وتعريةِ نفسي لأكتبَ لها:

أنا أعتذر.

صوتُ الحقيقةِ والوضوحِ لهُ نورٌ مبهجٌ

ومبهرَجٌ ومزيَّنٌ بالواقعِ والثَّبات، ويكفيكَ شرفًا أنَّكَ حقيقيٌّ لستَ بوهمٍ ولا بزيفٍ

ولا بصدًى خلفَ المدى يَعمَّ فصولَ السَّنة، بل أنتَ هوَ أنتَ لتسمعَ صوتَ ذاتكَ يقول:

لا تَعتذر فإنَّنا لا نُحبُّ المُعتذرين!

يَنكسرُ خاطري ويَنهزِمُ لبِّي وتَخِرُّ قواي لأُقبِّلَ يدَ ذاتي، حزينةٌ ووحيدةٌ وطريدةٌ

وشاحبةٌ تَرتجفُ مِنْ وحدةِ الاغترابِ

ومِنْ أنَّةِ الخوف، أحاولُ حضنَها على صدري، أحاولُ تقبيلَ حروفها لكنَّها تَنفرُ

وتَفِرُّ وتَكرُّ فقط لأنَّني لم أُلقِ لها بالًا طيلةَ واحدٍ وثلاثينَ عامًا مِنَ الاغترابِ

وخوضِ التَّجاربِ في سردابِ غيري، مُدمَّى بكلِّ حرفٍ أكتبُه، تسيلُ مِنْ قلمي أصواتُ أطفالٍ يَتراكضونَ خلفَ مُسابقةِ رسم، مَنْ سيحصلُ على الجائزة؟

كانَتْ ذاتي في صِغَري تُشجعُني وتَزرعُ في قلبي أملًا كقطرةِ سِقاءٍ سقطَتْ مِنْ وحيِ السَّماء، فابتلَّ بالماءِ وأصرخُ بأعلى صوتي أنَّني قد فزتُ بالرَّسمِ والوهمَ

وذاتي والجائزة، ومهما حاولتُ الاعتذارَ أعودُ إلى الطَّبيبِ فيقولُ لي:

(أُكتبْ بلا قيود)

أصبحتْ قُيودي ذكرياتٍ أعودُ إليها بعدَ فواتِ الوقتِ والزَّمنِ ولونِ سماءٍ كانت تقولي لي أمي:

اِجعلْها صافية!

أَتركُ مساحةَ الورقِ للهاوية، تُرِدّدُ لي ذاتي إنَّ صوتَ أمِّك ملاكٌ بلا لونٍ وبطعمِ جوزِ الهندِ الذي كانتْ تَطلبهُ وقتَ وحامِها بي، وجئتُ بلا ورقٍ وبلا قلمٍ وبلا طلْقٍ في السَّاعةِ الواحدةِ مِنْ مُنتصفِ ليلةِ رأسِ السَّنة، أتيتُ بلا رأسٍ وبلا قلمٍ وبلا حروفٍ وبلا فأس، وها أنا ذا أحملُ رأسًا وفأسًا

وأنبشُ في ثقوبِ الذَّاكرةِ عن ذاتي التي ظلمتُها وكتبتُها بعنوانٍ سخيٍّ في رأسِ خاطرتي:

باتَ الحديثُ عن الحبِّ كإشعالِ فتيلِ حرب.

أنا آسفٌ لنَفسي، لذاتي، للذَّاكرة، وللسَّماءِ الصَّافية.

13

[خدعوكَ فقالوا: خلفَ المجهولِ طموحٌ يَنتظرُك]

أجملُ تعريفٍ قرأتُهُ لمُصدِّري الوهم
وصانِعي البرمجة اللغويَّة العصبيَّة:

هي منهجُ علمٍ زائفٍ للتَّواصلِ والتَّنميةِ الشَّخصية والعلاجِ النفسيّ ابتكرهُما (ريتشارد باندلر) و(جون غريندر) مِنْ كاليفورنيا في الولاياتِ المتَّحدةِ في السَّبعينيات مِنَ القرنِ الماضي.

هلق راح تسألني مين ريتشارد وجون؟

بهمك تعرف؟

بطبيعةِ فلسَفَتي لما يُسمَّى معنى الحياة هو نقضُ السُّؤالِ بسؤالٍ عقلانيٍّ أدق جوهرية، ما فائدةُ أنْ تعرفَ مُبتكِرَ الفكرةِ بقدرِ أنْ تُسلِّطَ الضَّوءَ على الفكرةِ ذاتها، ذاتها تلكَ التَّفاصيلِ التي لا معنى لها وُجِدَتْ كأداةٍ بديلةٍ للإنسانِ الفارغِ مِنْ أيَّةِ لمحةِ أملٍ أو أيِّ مُخطَّطٍ طموحيٍّ يَسعى إليه. في صراعِ البرمجةِ اللغويةِ العصبيَّة يُدقِّقُ المفكِّرونَ بتخديرِ العقلِ بمعلوماتٍ غير واضحةٍ مِنْ أنْ يُقالَ عن صاحبِ الفكرة:

واو لديهِ عقلٌ ذكيٌّ وفكرةٌ قويَّة!

طبعًا جلسَ المُفكِّرُ في قاعةِ المكتبةِ يبحثُ عن قصصِ الأملِ ليستشهدَ بها أمامَ جمهورٍ منَ الفارغينَ لأنَّهم يعتقدونَ بعدَ فشلِهم الذَّريع بوجودِ فكرةٍ تُنمِّي الأمل،

ربَّما سوفَ تَستغربُ تَهجُّمي غير المنطقيِّ على عقلِك!

يا سيدي وسميه تَهجُّم، فطيلةَ المحاضراتِ يُركِّزُ نقَّارو الخشبِ في العقلِ الذي يُشبِهُ لوحَ الحطبِ على رسمِ شقِّ الأمل، إنَّ مُهمَّتهم كمهمَّةِ رجالِ الدِّين! يُصارعونَ الواقعَ بالوهمِ ويَرسمونَ الجنَّةَ والنَّارَ ويَنصبونَ حواجزَ المحرَّماتِ
والمسموحاتِ ويتوقَّعونَ بأنَّ:

(بكرى أحلى)

فلنفرضْ جزافًا أنَّ بكرى أحلى، حياةٌ سعيدةٌ وصحَّةٌ مديدةٌ ووظيفةٌ عتيدةٌ
وفرحةٌ لا تُفارقُ الوجوهَ الشَّاحبة، حسنًا
وماذا بعد؟

هناكَ نقطةٌ مُهمَّةٌ يجبُ التَّركيزُ عليها ألا وهي:

إنَّ تركيبةَ البشرِ بينَ بعضِهم تُختلفُ جذريًّا بدءًا ببصمةِ الإبهامِ انتهاءً برائحةِ العَرقِ وبلونِ الشَّعر، ليسَ هناكَ تَشابهٌ حتَّى بالتَّفكير، وما صنعَ المحاضرُ لمحاضراتِ الأملِ سوى الابتعادِ عن العقلِ واستخدامِ العاطفةِ في الجانبِ الأيمن، حسنًا، هذا الأستاذُ الذي يَنفثُ الأملَ في عواطفِ الفارغينَ لماذا لم يَنجحْ في حياتِهِ سوى بإلقاءِ المحاضراتِ وإبرازِ الجانبِ الإيجابيِّ في حياةِ شخصٍ قد نجحَ في الحياةِ وأهملَ الجانبَ المُظلمَ للفردِ الذي عانى الويلاتِ حتَّى أصبحَ ناجحًا، أصدقائي الأعزَّاء هناكَ شيءٌ مُهمٌّ جدًّا في معركةِ إثباتِ الوجودِ وأنْ يكونَ لكَ مَقعدُ صدقٍ بينَ البشريَّة، سوفَ أضعُ لكَ عبارةً عقلانيَّةً وأنتَ سوفَ تَنطلقُ منها نحوَ الحياة:

(لا يوجَدُ أيُّ شيءٍ مِنْ دونِ أنْ تدفعَ الثَّمن)

ركِّزْ على دفعِ ثمنِ تَذكرةٍ خاصَّةٍ لعبورِ حاجزِ الحياة، وفي كلِّ خطوةٍ ثمنٌ خاصٌّ لها، الجهدُ والجسدُ والتَّفكيرُ والمادَّةُ والمسافةُ والمساحةُ والبؤسُ والخوفُ كلُّ هذهِ الأشياء تَحتاجُ إلى مغامرةٍ سوفَ يكونُ ثمنُها أنتَ ووقتكَ وشجاعتكَ هذا إنْ كانتْ لديكَ شجاعة، بالأساسِ أنتَ محبطٌ لأنَّكَ طيلةَ الوقتِ تُرمِّمُ مسيرتَكَ نحوَ المجهولِ بالعاطفةِ بعيدًا عن الحقيقة، وعندما ارتفعتْ نسبةُ الاكتئابِ والمللِ والوحدةِ والقلقِ والخوفِ جاءَ رسولانِ جديدانِ لإنقاذِ البشرِ منَ الانهيارِ وطبعًا لم يأتيَا عن عبثٍ ألا وهما (ريتشارد باندلر) و(جون غريندر) وخوفًا مِنْ دمارِ أصحاب المصالحِ في عالمِ السُّرعةِ بدأَتْ خطَّةُ تأهيلِ الشَّبابِ للعودةِ إلى الحياة، ولكنَّ الرَّسولان استخدما الطَّريقَ العاطفيَّ لإنقاذِ الفارغينَ وكانتْ النَّتيجةُ سلبيَّةً لذلكَ هناكَ كلامٌ جميلٌ قرأتُهُ عن فشلِ هذهِ المُؤامرة:

البرمجةُ اللغويةُ العصبية (بالإنجليزية: Neuro-linguistic programming) وتعرف اختصارًا بـ(NLP) هي منهجُ علمٍ زائفٍ للتَّواصلِ والتَّنميةِ الشَّخصيَّةِ والعلاجِ النَّفسيّ ابتكرهُما ريتشارد باندلر (Richard Bandler) وجون غريندر (John Grinder) مِن كاليفورنيا في الولاياتِ المتَّحدةِ في السَّبعينيَّات منَ القرنِ الماضي.

يدَّعي المنظِّرونَ في البرمجةِ اللغويةِ العصبيَّةِ أنَّ هناكَ علاقةٌ بينَ العمليَّاتِ العصبيَّةِ واللُّغةِ وأنَّهُ يُمكنُ "برمجتها" لخلقِ تغييرٍ في القدراتِ الشَّخصيَّةِ وطريقةِ التَّفكير.

كما يَزعمُ كلٌّ مِنْ "باندلر وغريندر" أنَّ مَنهجيةَ البرمجةِ اللَّغويةِ العصبيَّة (NLP) يُمكنُها "نمذجة"

مهاراتِ الأشخاصِ الاستثنائيين، مما يَسمحُ لأيّ شخصٍ باكتسابِ تلكَ المهارات.

بالإضافةِ إلى ذلكَ فهم يَزعمونَ أنَّ البرمجةَ اللغويةَ العصبيَّة -في أغلبِ الأحيان- قادرةٌ على معالجةِ مُشكلاتٍ مثل الرُّهابِ والاكتئابِ واضطراباتِ التشنُّجِ والأمراضِ النَّفسيَّةِ والجسديَّةِ ومشاكلِ العينِ والنَّظر[5] والحساسيَّةِ ونزلاتِ البردِ الشَّائعة[6] واضطراباتِ التعلُّم.

تُسوَّقُ البرمجةُ اللغويةُ العصبيةُ منْ قبَلِ بعضِ "المعالجين بالإيحاءِ والتَّنويمِ المغناطيسي" وبعضِ الشَّركاتِ التي تُنظِّمُ ندواتٍ عن "التَّدريبِ الإداري" للشَّركات.

وفي النِّهاية:

تُصنَّفُ البرمجةُ اللغويَّةُ العصبيَّةُ على أنَّها علمٌ زائفٌ وغيرُ قائمٍ على أسس علميَّة.

انتهى.

مواجهةُ الذَّاتِ مِنْ أجملِ وأرقَى الطُّرقِ لمعالجةِ الخللِ النَّفسي، الاعترافُ بالخطَأ وعدمُ الوقوعِ بهِ وعدمُ الوقوفِ عندَهُ بدايةٌ جديدةٌ مِنْ أجلكَ لا مِنْ أجلِ الآخرين، فكِّر بنفسِكَ بشرطِ عدم التَّعرضِ لحريَّةِ الآخرينَ بأسلوبٍ عقلانيٍّ يساري، بدايةٌ جديدة، لأقولَ لك:

كُن قويًّا.

لأنَّكَ يوميًّا تَستيقظُ لتُثبتَ لنفسكَ

ولواقعكَ أنَّكَ ما زلتَ قويًّا، وبينَ عاطفتِكَ وعقلانيَّتِكَ تعلَّم عدم الاكتراثِ للماضي. وفي النِّهايةِ كلامي يَقبلُ النَّقدَ على حسبِ قراءةِ كل شخصٍ مرَّ منْ هنا.

14

[في الوقتِ الذي ستُعلنُ للعلنِ بأنَّكَ شخصٌ حقيقي، هون بس راح تدفع ضريبةَ عزلتكَ مدى الحياة]

اعتادَ المحيطُ الذي حولكَ عليكَ بميزاجيَّتِكَ وطقوسِكَ وجنونِكَ وصمتِكَ الرَّهيب، أنتَ لستَ رهيبًا وليسَ بكَ أي سانتي مترٍ منَ الرَّهبة، ولكنَّهم حَشو في دماغِكَ بأنَّكَ مختلفٌ عن البشريةِ ولو أتيتَ إلى الحقيقةِ أنتَ نسخةٌ عن البشريَّة، بل أنتَ جزءٌ لا يَتجزَّأُ عن أنَّكَ عاملٌ أو مسَّاحُ أحذيةٍ لقضيَّةٍ ما في جيبِ رجلٍ ما، وعلى مدارِ الوقتِ وأنتَ تجيدُ الكذبَ بنكهاتٍ عدَّةٍ وتُجيدُ التنكُّرَ في أقنعةٍ قد فُرِضَتْ أو ورثتَها ممَّنْ يدَّعونَ مصلحتك، وقد قدَّموا لكَ هدايا مجانيَّةً مع الأقنعةِ مِن أجلِ أنْ تستمرَّ في العطاءِ الهزليّ ورسمَوا لكَ حدودًا وهميَّةً لا يُمكنكَ تَخطِّيها ولو فعلتَ سيُمسحُ بكرامتِكَ مجاري الكرةِ الأرضيَّةِ يا جردونَ الظَّلامِ

والجُحور، وكلُّ ما عليكَ صنعَهُ أنْ تُصفِّقَ لهم في كلِّ محفلٍ لأنَّ قضيَّتِكَ مشابهةٌ لقضيَّتِهم وهيك.

(الزَّمنُ يُنقِذُ الحقيقةَ منَ الخطيئةِ والحقد)

إنَّها لوحةٌ لفرانسوا ليموين 1737

اِبحثْ عنها في جوجل ستعرفُها بالتَّأكيد، يقولُ موقعُ ويكيبيديا عن مفهومِ الحقيقة:

يُناقَشُ مفهومُ الحقيقةِ ضمنَ عدَّةِ مجالاتٍ منها: الفلسفةُ والفنُّ واللَّاهوتُ والعلوم، تَعتمدُ معظمُ الأنشطةِ البشريَّةِ على المفهوم، حيثُ تُفترَضُ طبيعَتها كمفهومٍ بدلًا مِنْ أنْ تَكونَ موضوعًا للمناقشة، وهذا يشملُ مُعظمَ مجالاتِ العلومِ والقانونِ والصَّحافةِ والحياةِ اليوميَّة.

يَرى بعضُ الفلاسفةِ مفهومَ الحقيقةِ على أنَّهُ بسيطٌ وأساسيٌّ وغيرُ قابلٍ للتَّفسيرِ بأيِّ شكلٍ يُسهِّلُ فهمَهُ أكثر مِن مفهومِ الحقيقةِ نفسه.

يَنظرُ بعضُ الباحثينَ إلى الحقيقةِ على أنَّها مراسلاتٌ بينَ اللُّغةِ أو الفكرِ إلى واقعٍ مُستقل، فيما يُسمى أحيانًا نظريةُ المراسلاتِ للحقيقة.

انتهى التَّقرير.

أحدُ الأمثلةِ الكلاسيكيَّة لنظريَّةِ المراسلاتِ هي الكتاباتُ التي نشرَها الفيلسوفُ وعالمُ اللاَّهوتِ في القرنِ الثالثِ عشر توماس أكوين:

(Thomas Aquinas)

«الحقيقةُ هي الملائمةُ بينَ الأشياءِ الماديَّةِ والفكر»

والتي يَنسبُها أكويني إلى الفيلسوفِ "إسحاق بن سليمان الإسرائيلي" في القرنِ التَّاسعِ والذي يَتتبّعُ الفلسفةَ الأفلاطونيَّة المُحدَثة. كما أعادَ أكويني كتابةَ النَّظرية على مبدأ:

«يُعَدُّ الحكمُ صحيحًا عندما يَتطابقُ مع الواقعِ الخارجي»

مَن منَّا يُحبُّ الحقيقة؟

أول ما تصادف الحقيقة وتمعنُ النَّظرَ وجهًا لوجهٍ بينَ وهمكَ وبينَ الحقيقةِ سوفَ تصابُ بانفصامٍ حادٍّ مِنَ الدَّرجةِ الخامسةِ طبعًا بعدَ أنْ تُلقي بكلِّ التُّرَّهاتِ في

نفاياتٍ ورقيَّةٍ وتَحرقُها كما يفعلُ بعضُ البوذيين، وقد قالَ الكاتبُ نجيب محفوظ:

(الحياةُ فيضٌ منَ الذِّكرياتِ تَصبُّ في بحرِ النِّسيان، أمَّا الموتُ فهوَ الحقيقةُ الرَّاسخة)

وأيضًا يقولُ المهاتما غاندي:

(في غمرةِ الموتِ تَستمرُّ الحياة، في غمرةِ الكذبِ تَستمرُّ الحقيقة، في غمرةِ الظَّلامِ يَستمرُّ الضَّوء)

وقالُ الفنانُ ألبير كامو:

(الحقيقةُ أنَّني لمْ أتعلَّم الحريَّةَ مِنْ كُتبِ ماركس وإنَّما تعلَّمتُها منَ الفقر)

ويقولُ زهير أبو سعد:

(الحقيقةُ تنبعُ مِنْ تَجاربَ سابقَة تُؤثِّرُ بالفردِ إيجابًا، يَكتشفُ العالمَ بفكرةٍ
وبفكرةٍ أخرى يُلقي بالعالمِ خلفَ ظهرِهِ كأنَّهُ لم يَعرِفْ الكذبَ مرَّةً أخرى)

وأسوأُ مَن هرَبَ مِنَ الحقيقةِ هم أصحابُ الجانبِ الدِّماغيِّ الأيمنِ كالرَّسامينَ
والرِّوائيينَ والنَّحاتين ومَرتَدِي أقنعَة الدِّينِ والمثاليَّات، هؤلاءِ عجزوا عن مُواجهةِ الذَّاتِ وأكمَلوا حياتَهم كاذبينَ بامتيازٍ وصفَّقَ لهم المجتمعُ الذي صنعَ منَ الكذبةِ إعجازًا ومع كلِّ هذا الإعجازِ الحقيقيِّ الذي حولَهم يَتوارونَ عن الواقعِ خلفَ السَّرابِ والضَّبابِ باسمِ الفنِّ والإعجازِ الدِّيني. قبلَ حِقبةٍ منَ الزَّمنِ

تسابقَ المتديّنونَ على إثباتِ أنَّ الكتبَ السَّماويةَ أتتْ لتُثبتَ أنَّ الكونَ معقودٌ بهذهِ الكُتبِ وكتبوا عن الإيمانِ وتأكيدًا على أنَّ الوهمَ هو إيمانٌ بالحقيقة، ولو لم يكُنْ لديهِم مليونُ شكٍّ ما كتَبوا تلكَ الكُتبَ التي أمطرونا بها على مدارِ التَّاريخ، وكلُّ هذا الضَّياع سببهُ الخوف مِن مواجهةِ الذَّاتِ لأنَّ الذَّاتَ حقيقةٌ وهم صبور وهم وسراب في حفلةِ الحياةِ على شرفِ الجهل.

15

[كُلنا يعني كُلنا]

كيف فيني أطعميك هالجملة بالمعلقة؟

في 15 مارس مِن عامِ 2011 للميلاد كنتُ أهتفُ في المظاهراتِ التي خرجَتْ ضدَّ النِّظامِ السوريِّ أو الحربِ الأهليَّةِ السُّورية، وتُسمَّى أيضًا الأزْمةُ السُّوريةُ والحربُ على سوريا، بصوتٍ واحدٍ معَ الجماهيرِ الشَّعبيَّة:

(حرية، حرية، حرية)

ولكنْ بطريقةِ شيخِ القرقعةِ على الطَّناجرِ وخزَّاناتِ المازوتِ وحاوياتِ الزِّبالة "عدنان بن محمد العرعور"

(وكُلنا يعني كُلنا)

نَصرخُ كأنَّ شيئًا سوفَ يطيحُ بالنِّظام، إنَّها أزمةٌ شعبيَّةٌ وغيرُ مدروسة، وكانَتْ عواطفُ الشَّعبِ قلبًا واحدًا كما كنَّا نظُنْ

ولكنْ حذارِ أنْ تُحرِّكَ مُحرِّكَ الظنِّ وإلاَّ ستقعُ في دائرة:

(إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)

ومنْ بعدِ أنْ وَضعَ الإخوانُ المتأسلمينَ يدَهم على الحراكِ وشغَّلوا المادَّةَ في مواجهةِ الدكتاتورِ أصبحَ الذي في الدَّاخلِ يَنتظرُ الدُّولار، أي شو هل الحماس!

الحماسُ جزءٌ لا يَتجزَّأُ منَ العاطفة

والعاطفةُ عندما تَغرقُ بالأملِ تقعُ بجورةِ خرا الحماس، وعندما تُصبحُ الدِّماءُ مُجرَّدَ خبرِ تتناقلُه وسائلُ الإعلامِ كوجبةٍ مُبسترةٍ قابلةٍ للتَّعفُّنِ وعلى الأغلبِ وضعَها النِّسيانُ على رفِّ التاريخ، وتُصبحُ الأرواحُ أرقامًا تُحصى مِنْ غيرِ أنْ يُعرَفَ تاريخُ الجمجمةِ التي أُطلقَ على رأسِها رصاصةٌ طائشةٌ واللهُ أعلمُ من وين،

فأضحَتْ مجرَّدَ آيةٍ تُقرأُ بصوتِ الشَّيخِ السديس:

(وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ، بِأيّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ؟)

لملِمْ ورقَ الصَّحافةِ وعدساتِ الكاميراتِ
وأسماءَ الصحفيينَ وأسماءَ أعضاءِ المجلسِ الانتقاليِّ
وامسَحْ بها طيزَ طفلٍ صغيرٍ دُمِّر بيتُهُ وانتُهكَتْ كرامتُهُ
واستُبدلَ البيتُ بخيمةٍ مأجورةٍ تَشحدُ عليها المنظَّماتُ الدَّوليَّةُ مِنْ أجلِ السَّرقةِ
والمُماطلةِ بمدَّةِ الحربِ بين الإنسانِ
والحيوان، وهيك كُلنا يعني كُلنا:

(أجرينا بالفَلقةِ سوا)

وناهيكَ عن تدفُّقِ الأملِ المُحمَّصِ بزبدةِ لابشكري التي تَضخُّ في العقولِ الطائفيَّةَ والعنصريَّةَ وقذارةَ السِّلاحِ والدَّولار وكلو مشان ثورة شعبيَّة ليسَ لها علاقةٌ بالدِّين، وكما قالتْ "أم كلثوم" صاحبة العظَمة:

(ودارت الأيام)

صارَت المعركةُ بينَ سنيّ وشيعيّ وعلويّ ودرزيَّ ومسيحيّ ولا ديني، وميمعة ما بعرف فيها غير ربنا المستوي على عرشهِ البائن على خلقهِ بيدِه مقاليدَ اللَّيلِ والنَّهار، ومع استواءِ الإلهِ استوى الشَّعبُ حرفيًّا، أصبحَ السِّياسيُّ تاجرَ بشر،

والثَّورجيُّ قاطعَ طريقٍ والنِّظامُ فطبولًا بين روسيا وإيران والنَّاسُ آهٍ وألف آهٍ على النَّاس، صار كل مين بدو يبيع بيتو كي يُؤَمِّنَ أجرةَ نقلِه ببولمٍ في البحرِ الأبيضِ المتوسّط لتقلّه إلى أرضِ الأحلام مستغانمي عفوًا لأرضِ الأحلامِ الأورُبيَّة لأنَّهم سمِعُوا عن أرضِ الحريَّة، كما أنَّ

إخوانَهم العربُ قد ضاقوا بهم ذرعًا بسببِ الوضعِ الاقتصاديِّ المُزري وصارَتْ الحكوماتُ العربيَّةُ تَشحدُ على اسمِنا كما شحدَتْ على اسمِ الفلسطينيينَ

وهيك كُلنا يعني كُلنا، وبصوتِ عبد الحليم حافظ وهو سكران:

(حاول تفتكرني)

ما حدا بَعد المدى حيفتكر الشَّعب الذي أصبحَ ضحيَّةَ العدساتِ الملوَّنةِ
والصَّحافةِ المأجورةِ والمنظَّماتِ الحقوقيَّةِ الحرميَّة، وهذه الجهاتُ تحومُ حولَ مخيّماتِ اللاجئينَ الذين كانوا قبلَ عشرِ سنواتٍ يَصيحون:

(بدنا حرية، بدنا كرامة)

تقول كنَّا لابسين صرماية وحدة واهترأتْ وعرَّت الناسَ على حقيقتهم. كُلنا يعني كُلنا تغيَّرنا وصرنا كتَّابًا وروائيينَ

وإعلاميينَ وصحفييينَ وسياسييينَ

وأكالين خرا وهلُمَّ جرَا مِن كُلنا يعني كُلنا، بس على مين راحت يا حزرك على المعتقلينَ الذين علَّقوا كلَّ آمالِهم بنا نحنُ الهاربونَ مِن موجة:

(إذا كلُنا طلعنا ليش جبنت وهربت!)

منَ الموتِ والسِّلاحِ والدُّولار، ما عاد سمعنا حدا بدُّو حريَّة، صار في حدا بدُّو يقتل حدا بحجَّةِ الدِّينِ والعاطفةِ

والجانبِ الأيمنِ المبنيِّ على وهم،

إذا قتلتَني فسوفَ تذهبُ إلى الجنَّةِ وإذا قتلتُه فسوفَ أفوزُ فوزًا عظيما، وكُلنا يعني كُلنا بنعرف الحديث بعد ما تطوَّرنا فقهياً الذي يقول:

إذا التقى المسلمانِ بسيفِيهما فالقاتلُ والمقتولُ في النار

قيلَ يا رسول اللهِ هذا القاتلُ فما شأنُ المقتول؟

قال: لأنَّهُ كانَ حريصًا على قتلِ صاحبه.

الحديثُ صحيح، والغلط كُلنا يعني كُلنا. العودةُ إلى الذَّاتِ عودةٌ إلى الحرية، ولدولةٍ مدنيَّةٍ تَعدُّديَّةٍ لا يُظلم بها أحد، وكلُّ امرئٍ مسؤولٌ عن نفسِهِ لا عن رعيَّتِهِ لأنُّو كُلنا يعني كُلنا مش قطيع غنم لحتَّى يجي حدا يحدِّد مساراتِنا ويضغطُ على حريَّةِ الفردِ الشَّخصيةِ وتُصبحُ قضايانا تُشنقُ باسمِ الدِّين وتجارِ السِّلاحِ والأنذالِ المدسوسينَ منَ دولِ الجوار. إذا بُعثَ الأموات في بدايةِ الأحداثِ مِن قبورِهم سوفَ يُنكرونَنا كما تُنكرُنا الذَّاتُ عندما نُعودُ إليها ونحنُ مُلطخونَ باليأسِ والدَّمارِ العاطفيّ الدرامي، وحتَّى لا أنسى نحنُ كُلنا يعني كُلنا شعبُ الدراما والفضلُ يعودُ إلى "بسَّام الملا" الذي خرَّاها بالجزءِ العاشرِ مِن مسلسلِ "باب

الحاغة" بصوتِ مقدَّمِ الانتدابِ الفرنسيّ عندما أُغلقَ بابُ الحارةِ كما أُغلقَتْ قضيَّةُ الحريَّةِ على أيدِي المتآمرينِ على الشَّعبِ الملتعن أبو أبوه، وكُلنا يَعني كُلنا بنهتف على بعض:

بدنا نرجَع لذواتِنا، بس مع شوية كرامة.

16

[الاسم: بتهُون/المهنة: يفدَح أمها إذا بتهُون]

يفدَح: أي يفضح!

فعلٌ يتداولُه البشرُ فيما بينهم لتدميرِ عُنصرٍ أو فردٍ أو مؤسَّسةٍ أو شركةٍ أو مطعمٍ ما في مساحةٍ جغرافيَّةٍ ما، طبعًا تُطلَقُ الفضيحةُ صفةً واسما مثلًا، سمِعتُم الفضيحةَ أو الست فضيحة، الحروفُ تُؤدِّي دورًا كبيرًا في تَشكيلِ اللُّغةِ لأنَّها أساسُ اللُّغةِ والإدراكِ وفَهمِ ما يُحاكُ مِنْ حولِك، وأنتَ في دوَّامةِ الفضائحِ جهِّزْ نفسكَ لتكونَ ضحيَّةً في موقفٍ بريءٍ ما، طيلةَ حياتِكَ تَخشى مِنْ أنْ يُفضَحَ سرك، سرُّك البديهيِّ الذي فعلتَه في الماضي

وتَخشى أنْ يَسخرَ منكَ البست فريند إذا اطَّلعَ عليه، وبينَ الفضيحةِ وأنتَ هناكَ سرٌّ مكنونٌ ومُبطَّنٌ بالوهمِ يَختفي في شقِّ رأسِكَ الأيمنِ وأنتَ تخشى مُواجهةَ فضيحتِك.

أي يفدَح أختها إذا بتهون!

المقصودُ بها الحياة، المعنيُّ بها سوءُ الحالِ والمشاكلِ التي لا تَكادُ أنْ تَنتهي، طبيعةُ البشرِ أنَّهم على جاهزيَّةٍ تامَّةٍ لمواجهةِ أيَّةِ مُشكلةٍ وإذا لم تَكُن هناكَ أيُّ عواقبٍ فسوفَ يَخلُقُ الإنسانُ مُشكلةً مِن تحتِ الأرضِ و:

(يفعل منَ الحبَّةِ قُبة)

كما يقولُ المثلُ الشَّعبي، ويُمارسُ الإنسانُ الضَّغطَ على نفسهِ ليَتناسى شيئًا أهمَّ مِنْ هذهِ التَّفاهات، خُذ

أمثلة: يُفكِّرُ بالدِّراسةِ في أيامِ المُراهقةِ وعندما يَصلُ إلى التَّوجيهي يُفكِّرُ بالمُعدَّلِ وعندما يأتي بمعدَّلٍ جيِّدٍ يُفكِّرُ بالتَّخصصِ وطيلةَ أيام التَّخصصِ يُفكِّرُ بألَّا يَرسبَ بمادَّةٍ وفي أثناءِ تلكَ الجولةِ التَّخصصيَّةِ يُفكِّرُ بفتاةِ أحلامِهِ وعندما يَجدُها يبقى يَكذبُ عليها حتَّى يَتخرَّجَ ليترُكَها ويُفكِّرُ بوظيفةٍ تليقُ بتخصُّصهِ وفي هذهِ الأثناءِ تَبحثُ لهُ أمُّهُ عن عروسٍ وهُنا يَجدُ الوظيفةَ على مدارِ ثلاثِ سنواتٍ وهو يُؤثِّثُ في بيتِهِ الذي استأجرَهُ ويَتزوَّجُ على ذوقِ أهلهِ ويُفكِّرُ بالجنينِ الذي سيحملُ اسمهُ ويأتي البيبي ويُفكِّرُ بأمِّهِ وبالبيبي وبالبيت و يَكبَرُ البيبي ويَكبُرُ همَّهُ ويَفكِّرُ أنْ يُطهِّرَ قلبَهُ مِن ذنبِهِ فيلتزمُ البيتَ والمسجدَ والوظيفةَ على روتينٍ واحدٍ حتَّى يموت.

(أي يفدَح أمها إذا بتهُون)

الإنسانُ مُركَّبٌ على حسبِ البيئةِ وفي مُثلَّث سأُخبرُكَ عن أسماءِ زواياه (المشاكل، الخوف، الانتظار) يُمضي حياتَهُ وهو يَدورُ في قفصِ مُثلَّثِ المعاناةِ حتَّى يَرحلَ بصمتٍ كما قالَ محمود درويش:

تُنسى كأنَّكَ لم تكُن ..

تُنسى كمصرعِ طائرٍ ..

ككنيسةٍ مَهجورةٍ تُنسى ..

كحبٍّ عابرٍ ..

وكوردةٍ في الرِّيح ..

وكوردةٍ في الثَّلج ..

تُنسى ..

إنَّها كارثةُ عدمِ المُواجهة، والدراما أويلاااااااه
ساحلة سحل مِن بنطلونِ مُراهقٍ قد ظهرَ كيلوتهُ الذي كُتِبَ خلفهُ بالإنكليزي:

(آي لايف يو)

نحنُ إنْ لم نَجدْ المشاكل، ننتظرُها بكلِّ جاهزيَّتِها، وإذا لمْ تأتِ نخشى أنْ يكونَ هناك َخللٌ مُعيَّنٌ قد لحِقَ بنا، لذلكَ معظمُ المجتمعاتِ لقَّنوا الإيمانَ لأجيالِهم خوفًا منَ الوقوعِ في أزْمةِ الانتظار، لأنَّ الانتظارَ نوعٌ منَ الاحتضارِ وأنا أيضًا كنتُ أنتظرُ شيئًا ما سيَحدثُ وبتُّ

بليدًا وعنيدًا لا أنتظرُ سوى أنْ يَرحلَ اليومُ وأنتهي منَ السُّؤالِ الذي لم أجِد لهُ جوابًا:

شو في بعدين أو (وبعدين!)

أعيشُ في أزْمةِ مُواجهةِ الذَّات، لاحِظْ أنَّني كتبتُ أزْمةً أيّ أنَّها مُشكلةٌ واضحةٌ قد كسَرْتُ فيها كلَّ أغلالِ الخوفِ لأنَّني ببساطةٍ بتُّ أعتقدُ أنَّ الموتَ ليسَ مُخيفًا على أساسِ أنَّ البشرَ يَعدُّونَ الموتَ أكبر مصيبةٍ قد تَلحقُ بالإنسانِ لذلكَ قالَ القرآنُ عنها:

(فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ)

أي إنَّ الموتَ مُصيبة، بل إنَّهُ سهمٌ سيأتي لا مَحالةَ وأنت الهدفُ فجَهِّز العدَّةَ والعتادِ للقاءِ وهمٍ كبيرٍ لم نرَهُ

ولكنَّنا مُجبرونَ على الخوفِ منه، وأستيطعُ أنْ أُلخِّصَ لكَ الزاويةَ الحادَّة للمثلَّثِ الذي يَسكنُ بنا؛

إنَّ أزْمتَنا بعدَ الانتظارِ أزمةُ خوف، ننتظرُ الخوفَ وعندما يَقعُ بنا نقولُ عنهُ بأنَّهُ أكبرُ مشاكِلنا وإذا ألقيتَ نظرةً على المشكلةِ ستقولُ عنها بأنَّها تافهةٌ ونحنُ مَن نكَبِّرُ الأمرَ فوقَ طاقتِه، هيك مِنَ اللهِ شعوبٌ تُحبُّ التَّوابلَ لتطهيرِ زنخةِ المُشكلةِ ولم يأتِ لنا أحدٌ كما جاءَ في الواقعِ بالعبارةِ التي سخِرَ منها روَّادُ السوشل ميديا:

(أي يفدَح أختها إذا بتهون!)

سوفَ تَهونُ إنْ أمعنَّا النَّظرَ إلى الذَّاتِ

وابتعدنا عن الدراما الكلاسيكيَّةِ التي جعلَتْ منَ العالمِ أداةً أوتوماتيكيَّةً لانصهارِ العقلِ البشريّ في زبدةِ الهَبلِ

والجنونِ أي يفدَح أختها إذا بتهون!

17

[المُبتدأ مِنْ ملامحِ العقلِ والخبرُ مِنْ انفعالاتِ البشر]

جميعُنا خبرٌ لمُبتدأٍ مبنيٍّ للمجهولِ أو لضَميرِ غائبٍ نحنُ مَن غيَّبهُ مِنْ أجلِ السَّعادةِ كما نَعتقِد، ومكانُ هذا المُبتدأ هو الجانبُ الأيسر للدِّماغ، فنحنُ عندما نُفكِّرُ بإيجابيَّةٍ نكونُ يساريينَ لأنَّ مُهمّةَ اليسارِ أنْ يَتعقَّلَ ويَتدبَّرَ ويُصدرَ أحكامًا مَصيريَّةً نتجنَّبُ عن طريقِها أنْ نقعَ بما يُمليهِ علينا الجانبُ الأيمنُ مِن أوهامٍ وخزعبلاتٍ

وكوارِث عاطفيَّة، في كلِّ حركةٍ نحوَ المعقولِ يَكونُ هناكَ المُبتَدَأُ والمُبتدِأ لأنَّ الأمرَ مُتعلِّقٌ بإثباتِ وجودِكَ على عكسِ الأيمنِ الذي يُدهورُ مسارَ حياتِك،

ويُمكُنني أنْ أضعَ أسماءَ عُلماءٍ أكملوا مسيرةَ حياتِهم مُستخدمينَ للجانبِ الأيسرِ لنشرِ العلمِ والمعرفةِ مثل:

ديموقريطس

دياجوارس (من ميلوس)

أبيقور

أندرو كارنيجي

إيفان بتروفيتش بافلوف

سيغموند فرويد

ستيفن جاي غولد

جواهر لال نهرو

وطبعًا لم تَسلَمْ هذه الشَّخصيات مِنْ نقدٍ غير عقلانيٍّ مِن علماءِ الوهمِ والخزعبلاتِ

والعواطفِ واتُّهِموا بالإلحادِ فقط لأنَّهم لم يَرضخوا لأيِّ نصٍّ مَحصورٍ في زاويةٍ جلبَتْ للبشريَّةِ مهزلةً دمويَّةً راحَ ضحيتُها ملايينَ البشرِ المتَّبعينَ للنَّصِ مِنْ غيرِ أنْ يُوضعَ النَّصُ على طاولةِ العقلِ الأيسر، لك شو بدك يا عمي فايته البشرية بألفٍ

وست مئة حيط، وكلُّ هذا بسببِ الموروثِ الإيمانيِّ الذَكَريِّ والطبقيِّ والأبويِّ والرَّأس ماليِّ وما عَلينا هُنا إلاَّ أنْ نضعَ الخبرَ في مكرويف:

(الانفعالات)

الناسُ تنفعلُ عندما تُسَبُّ الآلهةُ وتَخرجُ مِن إطارِ الأدبِ لتواجِهَ قلَّةَ الأدبِ بقلَّةِ أدبٍ مماثلةٍ تمامًا، لمَ شَتْمُ الآلهة؟ ولو فعَّلتَ كاشفَ حسابٍ لأفعالِ المؤمنِ ستجدُهُ خائنًا وغدَّارًا وكاذبًا وعِربيدًا ومُتقنِّعا ومُتصنِّعا يَلعبُ دورًا في لُعبةِ الغمِّيضةِ للبحثِ عمَّن يُماثلُهُ بالإيمانِ والغدرِ والحقدِ والدَّمويَّةِ والخيانة. تَنفعلُ المجتمعاتُ المُنغلقةُ على حسبِ إيمانِها

ولا يَروي ضَمائرهم سِوى القصاصِ والدَّمِ لأنَّهم رُبُّوا على مَبدَأ:

(وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ)

وهُنا يُؤدِّي الدِّماغُ الأيمنُ دورًا كبيرًا بإنتاجِ العواطفِ الكاذبةِ وبإصدارِ التَّخوينِ والتَّكذيبِ على مَنْ يَتَّفقُ عليهِ بمفهومِ الحياة، حياتُنا تَحتاجُ إلى وقفةِ إنصافٍ

للتَّعايشِ مع مَنُ يُخالفُنا إيمانيًّا وعلى مَنْ يُخلِّفُ اختلافاتِنا، ولكنْ عندَ المُؤمنِ يولَدُ التَّخوينُ معهُ مِن بدايةِ معرفتهِ الموروثة حتَّى تَتوفَّاهُ الآلهة، ويُدفَنُ مع إيمانِه

ويُنسى كأنَّهُ لم يَكن. كانتْ قراراتٌ مصيريَّةٌ أصدرتُها بحقِّي في بدايةِ عام 2020 للميلادِ بأنْ أعتزلَ الكذبَ مهما حدثَ منْ ردودِ أفعالٍ على تلكَ الإصدارات، خسرتُ الكثيرَ منَ الأحبَّةِ

والأهلِ والأصدقاء، طبعًا أنا أدفعُ الثَّمنَ الآن ألا وهوَ الوحدةُ المُفرِطةُ التي ترافقُها حالاتٌ منَ التَّوتُّر والقلقِ والاكتئابِ وعلى فرضيَّةِ التَّعايشِ بدأْتُ فعليًّا بالتَّعايُشِ مع الألمِ العاطفيّ وأيقنتُ بأنَّ هذا التَّعايش باعثٌ للسَّلامِ الدَّاخليّ في المستقبل،

وطبعًا مِنْ أهمِّ المُلاحقاتِ التي أقرَؤُها عبرَ بريدي الخاص:

كافِر

مُلحِد

يَهودي

قليلُ تربيةٍ

قليلُ أدبٍ

خنزير

خارجٌ عن الدِّين

خارجٌ عن المِلَّة

مناصرٌ للمثليَّةِ ولغيرِ المحجَّباتِ

والمُنحلِّينَ والبعيدينَ عن الله، وهَلُمَّ جرَا منَ الرَّسائلِ التي أتلقَّاها بصدرٍ رحبٍ لأنَّها لا تعني لي شيئًا، في النِّهاية هيَ مجرَّد غُبار، إنها عباراتٌ لنْ تُغيِّرَ مِن طريقي نحوَ البحثِ عن مَعنى الحياة، والرَّسائلُ التي يَراها بعضُهم إيجابيَّة مثل:

مُتمرِّدٍ

حرِّ

الكاتب الأكثر وقاحة

الكاتب المُتخلِّي عن مسيرةِ القطيعِ

وهكذا أصبحَتْ الرَّسائلُ مُجرَّدَ روتينٍ لأنَّ السَّيرَ نحوَ البحثِ العلميّ بحاجةٍ لأنْ تُفعِّلَ زرَّ عدم المبالاةِ طالما تَعتقدُ بأنَّكَ تسيرُ في الاتِّجاهِ الصَّحيح. كلُّ شيءٍ بثمن، جميعُهم في نظريَّةِ الإيمانِ مؤمنونَ إنْ كانوا يَعبدونَ بقرًا أو يَعبدونَ حجرًا

أو يَتبرَّكونَ بالقبورِ أو يُوحِّدونَ الآلهةَ أو لا يَعترفونَ بوجودِ آلهة، نحنُ جميعًا في مضمارِ الإيمانِ بفكرةٍ تُوحِّدُنا وردودِ فعلِ خبرٍ تُفرِّقنا، الإيمانُ بأيَّةِ فكرةٍ يَحتاجُ أدبًا، حتَّى لو لمْ أتَّفقْ معكَ هناكَ شيءٌ لا يُمكنُ أنْ تُنكرَه ألا وهو نحنُ إخوةٌ بالإنسانيَّةِ مهما اختلفَتْ ألوانُنا وثقافتُنا ولغتُنا، وتبقَى الإنسانيَّةُ المساحةَ الشَّاسعةَ التي تَضمُّنا بحرارة.

18

[لا، بدايةٌ لكلِّ فعلِ أمر، حسنًا إذن، خُذْ هذا الأمر: لا تأمُرْ الآخرينَ باحترامِ مبادئِكَ وهي مَبنيَّةٌ على تقليلِ احترامِ مبادِئ الآخرين]

أظنُّ أنَّ القاعدةِ مفهومة، وبقص إيدي من شُرشها إذا فهمتَ أو احترمتَ الآخرين، ليسَ كلُّ المؤمنينَ سيِّئينَ وليسَ كلُّ غيرِ المؤمنينَ جيِّدين، ولا كلُّ مُحجَّبةٍ مُؤدَّبةٌ ولا كلُّ خالعةٍ لحجابِها عاهرة، ولا كلُّ الرجالِ أسوياءُ كأسنانِ المشطِ بالخُلُقِ الرَّفيعِ ولا كلُّ النِّساءِ كقلبِ حبٍّ واحد، اليوم كنتُ بزيارةٍ لإحدى الصَّديقاتِ في فيينا، دعَتْني لأتناولَ وجبةَ العشاءِ ولَم أُرِدْ أنْ أكسِرَ خاطرَها، لأنَّ الحياةَ

ومشقَّاتِها قد تكالبتْ عليها وحمَّلتْها ما لم تستطِع حملهُ مِن مُنغِّصاتٍ وضياعٍ للعُمر، أخذَني صديقي كريستيان مع أنَّني لا أستطيعُ الخروجَ منَ المنزل،

وجلَسنا نتناولُ الطَّعامَ حولَ سُفرةٍ لذيذةٍ وشهيَّة، ووُضِعَتَ بعضُ الموسيقى عبرَ التِّلفاز، ولأنَّنا في النِّمسا فالحياةُ شِبه ديمقراطيةٍ وفيها نعيمُ الحريَّةِ الذي تَطمحُ إليهِ الكثيرُ منَ الشُّعوبِ ولولا أنَّ النِّمسا مِضيافةٌ وصاحبةُ كرمٍ وجودٍ ولم تُقصِّر في اتجاهِها مع العربِ الذينَ قَدِموا إليها مع بداياتِ الهروبِ مِنْ كِذبةِ العروبةِ ولعناتِ الحروبِ فما على المضيفِ سِوى أنْ يلتزمَ بالقاعدةِ الشَّعبيةِ التي تقول:

(يا غريب، كُن أديب)

وبالصُّدفةِ خرجَتْ أغنيةٌ للمطربِ العالمي النِّمساوي:

توماس نويورث، بالإنجليزية

Thomas "Tom" Neuwirth

ويُعرف أيضًا باسمِ "كونشيتا" وهوَ مُغنٍّ نمساويٌّ ولد:

6 نوفمبر، تشرين الثاني: 1988 للميلاد

وفازَ في المسابقةِ الغنائيَّةِ (يوروفيجن) منَ العامِ 2014م التي أُقيمَتْ في كوبنهاغن عاصمة الدِّنمارك.

قبلَ أنْ أعرِضَ ما حصلَ في ضيافةِ صديقتي، سوفَ نذهبُ جولةً خفيفةً لنعرفَ مَنْ هو كونشيتا!

في سنِّ المُراهقةِ تعرَّضَ توماس لمضايقاتٍ وتمييزٍ فقرَّرَ أنْ يَخلقَ شخصيَّةً أخرى "كونشيتا" السيِّدة الملتَحية، كتعبيرٍ عن التَّسامحِ والتَّقبُّلِ وأنَّهُ يجبُ أنْ يعيشَ الإنسانُ كما يُريدُ طالما أنِّه لا يُؤذي الآخرين.

كونشيتا ورست شاركَ في أعمالٍ خيريَّةٍ عديدةٍ وشاركَ في مُؤتمراتٍ عديدةٍ للدِّفاعِ عن حقوقِ الإنسان، كانَ أبرزُها في مُنظَّمة "الأمم المتحدة" وقابلَ "بان كي مون".

كانَ أوَّلُ ظهورٍ لتوماس في عامِ 2007م في برنامجٍ غنائيٍّ اسمُهُ "Starmania" يُعرَضُ على التلفازِ النمساوي.

تخرج توماس في العام 2011م مِنْ جامعةِ "Graz" وتَخصَّصَ بتصميمِ الأزياء.

رُشِّحَ كونشيتا ورست ضمنَ جوائز الأوسكار العالميَّة السَّنوية لأفضلِ فنَّاني العالم، تَرجِعُ هذهِ النَّجاحات إلى الأغاني الرَّائعةِ التي احتلَّتْ المراكزَ الأولى في مُختلَفِ دُوَلِ العالم.

إنَّهُ بحدِّ ذاتِه إنجازٌ في خضمِّ الإنسانيَّةِ الذي يَشهدُ لهُ تاريخُهُ بغضِّ النَّظرِ عن مُيولهِ الجنسيَّة، وبعدَ أنْ ظهرَتْ الأغنيةُ قالَ ابنُ صديقتي الذي يَبلغُ منَ العُمرِ (16) سنة:

اِقلبوا عن هذا القَذِر، إنَّهُ مِثليٌّ الجنس، يع!

سقطَ مِنْ عيني مع أنَّ جثَّتَهُ ضخمة لوجودِ الكراهيَّةِ في دماغِهِ لطرفِ جنسٍ ما مِنَ البشر، قلتُ له:

هل كلُّ الأصدقاءِ الذينَ قابلتَهم في حياتِكَ كانوا جيِّدين؟

قال:

كلُّهم أوسخُ مِن بعضِهم!

سألتُه:

هل كانَ مِنْ بينِهم أحدٌ مِثليُّ الجنس؟

قال:

لا أصادقُ مِثليّين!

سألتُه:

هل آذاكَ أحدٌ منَ المثليّين؟

قال:

لو سمحَتْ لي الفرصةُ وعرفتُ أحدًا مِنهم سوفَ أمسحُ بهِ بلاطَ الكرةِ الأرضيَّة
وأقتلُه!

تركتُ الكلامَ للجهل، صمتٌ لأنَّهُ مُشبعٌ بفكرةِ أنَّه النَّبيُّ وغيره رعاةٌ كرعاةِ الغنمِ مع احترامي لكلِّ شخصٍ يَعملُ برعيِ الغنم، المُصيبةُ ليستْ في رعيِ الغنم، المُصيبةُ بأنَّ هناكَ بشرًا لا فرقَ بينَهم
وبينَ الغنم، قد أُشبِعَ دماغُهم الأيمنُ بفكرةِ الأفضليَّةِ وبأنَّ الآلهةَ فضَّلتهُم على العالمين، ومع تَعطيلِ الجانبِ الأيسرِ للدِّماغِ شُلَّتْ حركةُ التَّفكيرِ بالتَّكفيرِ
ومَزجُ الذي يُخالفُهُ بغوطِهِ ورميهِ في بلوعةِ التواليت.
ماذا يَحدثُ لو واجهتَ عيوبَكَ أوَّلًا وتركتَ الآخرينَ يعيشونَ كما يُريدونَ طالما أنَّهم لم يُؤذوك!

وللعالمِ أنْ يَعلَمَ أنَّ كونشيتا قدَّمَ الكثيرَ منَ المُساعداتِ للَّاجئينَ بيدَ أنَّ الذينَ تُدافعُ عن قيمِهم بما يَنتعلُهُ دماغُكَ مِنْ مَبادئَ سرقوكَ ورموكَ في خيمةٍ ومارسوا مهنةَ اللُّصوصيَّةِ باسمكَ يا تيسَ البريَّة، أُتركْ الآخرينَ وشَأنَهم وحاوِلْ مرَّةً واحدةً أنْ تُواجِهَ كلَّ هذا الغباء وتَكفَّ عن ملاحقةِ الآخرينَ وعيوبِهم إذا كنتَ أهلًا لتصنيفِ البشر، ليستْ كلُّ أصابعِكَ سَواسيةً وليس كلُّ ما تَحمِلهُ مِنْ فكرٍ يُطابقُ عقولَ وحرّيةَ الآخرين، والحريَّةُ أكبرُ بكثيرٍ مِنْ أنْ تُحصى في دينٍ أو مبادئِ قومٍ قد بالَ عليها الزَّمانُ وفاحَتْ رائحةُ نتَنِه، وسأختمُ بما بدأتُ به:

(لا تأمُر الآخرينَ باحترامِ مبادئِكَ
وهيَ مَبنيَّةٌ على تقليلِ احترامِ مبادِئ الآخرين)

واجِه ذاتَكَ وستكونُ بخير.

19

[بكفي، فعلُ أمرٍ مُبتَكر بعدَ تصادمٍ مع الجانبين الأيسرِ والأيمنِ للدِّماغ، فا بكفي]

العلاقاتُ الزَّوجيَّةُ كالموتِ تمامًا، عفوًا أيُّها الموتُ لأنَّني شبَّهتُ تلكَ المجتمعاتِ الاشتراكيةِ بك، بكَ وحدَكَ هو المفرُّ مِنْ هذا العالمِ الهشّ، فبكفي استغباءٌ روتينيٌّ مبنيٌّ على التَّمثيلِ وإنو المجتمع المُنغلِق مُجتمع ال: "واااو" وهوَ المجتمعُ المحافظُ ذو القالبِ المثاليّ والمُتكامل، وإنَّ التَّجاربَ الطَّائفيَّةَ والمُبتدِئةَ جعلَتْ مِنْ الأسرةِ شبكةً مُتماسكةً مِنْ برَّا رخام ومنَ الدَّاخلِ صخام فبكفي بقى.

تعملُ الأُسرُ على مدارِ السَّنةِ لتأخذَ دورَ الأسرةِ السَّعيدةِ التي لا تَعرفُ الحزنَ ولا اليأس، ويَأخذُ

الأفرادُ أدوارَهم بكلِّ قسوةٍ في سيناريو قاتلٍ ومَقيت، تَستمرُّ المسرحيَّةُ الهزليَّةُ على مَرأى منهم وعلى مَسمعِ جميعهم لكي يُقالَ عنهم:

نحنُ غير!

أي خود رأس هالأير يا بُبو زمانك (إذا الحكي صحيح) طبعًا بصوتِ جودي في مسلسلِ ضيعة ضايعة، وفوقَ الضَّياعِ يَتقنَّعونَ بكلِّ أقنعةِ المثاليَّةِ والمبادِئ، فهناكَ قناعٌ اشتراكيٌّ وأبويٌّ وطبقيٌّ ورأسُ ماليٍّ ذكوريٍّ كاذب يَجبرُ الأفرادَ عليهِ ويَضغطُهم على حوارٍ لا يُطيقهُ ربُّ البشر، وإنْ سألتَهُ عن تلكَ العمليَّةِ سوفَ يُلقي اللَّومَ على عدَّةِ كمَّاشات، خُذ مثلًا:

نحنُ هيك

العادات والتقاليد

الدِّين أمرنا

القيَم التي نشَأنا عليها

المكتوب ما منو مهروب

قضاء وقدر

بأمر الحكومة نحن

الحياة صعبة

نعم سوفَ تكونُ صعبةً إذا كانَ هناكَ أغلالٌ وإيقافُ مدِّ الآخرينَ على الفردِ باسمِ الأبِ والابنِ والرُّوحِ القدُس، وكلُّ مُجتمعٍ لديهِ أبٌ وراعٍ وقائدٌ ودكتاتورٌ وهيك مع كميَّةِ هبل، بكلِّ بساطةٍ لنُحدِّدَ مآسيكَ يَجبُ أنْ أطرحَ العبارةَ التَّالية:

(أخبِرني عن قيودِكَ سوفَ أقولُ لكَ مَن أنت)

ما هوَ المُبرِّرُ على أنْ تَتحرَّرَ مِنْ أسرةٍ بنَتْ علاقاتِها على النِّفاق؟ لماذا كلُّ هذهِ المساحةِ الضيِّقةِ منَ الهبَل؟ ما الفائدةُ التي سوفَ تَجنيها مِنْ مَهزلةِ التَّمثيلِ الرُّوتينيِّ اليوم؟

إنْ كنتِ مُتزوَّجةً مِنْ رجلٍ جعلَ منكِ فيلبينيَّةَ البيتِ فعليكِ أنْ تُقرِّري ماذا تُريدينَ بالضَّبط؟ حدِّدي السَّبيلَ للتَّخلُّصِ مِن دكتاتورِ البيت، هل تَخافينَ مِنْ كلمةِ

مُطلَّقة؟ المُطَلَّقةُ كسبتْ ما تَبقَّى مِنْ حياتِها وعاشتْ حرَّةً وأبيَّةً كما يَحلو لها

وأنتِ واقفةً على إطلالةِ المطبخِ يا عاملةَ الغبرةِ ويا ممسحةَ البيتِ القذِرة، الطَّلاقُ

والانفصالُ والوحدةُ وعدمُ التَّمثيلِ

وعدمُ البقاءِ مِن شخصٍ حولَ حياتِكَ إلى جحيم، كلُّ ما ذكرتُه آنفًا يُعَدُّ:

(نعمة)

وعكسُ النِّعمةِ هوَ الجحيمُ والخوفُ منْ وصفِكَ بعدَ الطَّلاق، طبعًا العالمُ المُنغلِقُ شاطرٌ بالتَّعليلِ وببناءِ الكذبِ على خبرٍ طازجٍ وقابلٌ للفرمِ بالمجالسِ التي تَعلوها فوبيا الغيبةِ والنَّميمة ورشّ البَهار على الأخبار، همْ هكذا لنْ يَتغيَّروا ومع أنَّ نصوصَ السَّماءِ ضَبَطتْ آلةَ اللِّسانِ عن ذكرِ شيءٍ لا يَخصُّ صاحبَهُ

إلَّا أنَّهُ لا رادعَ لهؤلاءِ البشرِ في تكبيرِ الحجمِ الذي لا يُرى بالعينِ المجرَّدة، هناكَ تقريرٌ جميلٌ قرأتُهُ وأعجبَني تحتَ عُنوان:

(الأسرُ العربيَّةُ تُعاني التَّفكُّكَ المُقنَّع)

منَ الجيِّدِ أنَّ التَّفكُّكَ مُقنَّعٌ والمُعلَنة آنيَّة هُنا وسوفَ تُصبحُ ذكرى مُؤلمةً وقابلةً للنِّسيان، فلا ضيرَ أنْ يَعيشَ الفردُ بذِكرى مُؤلمة ولا أنْ يَستمرَّ بالعلاقةِ الهزليَّةِ التي ستَلعنُ صحَّتَهُ كالضَّغطِ والسُّكريِ والسَّرطانِ وهلُمَّ جرَا يا جرة زمانِك،

وطبعًا أنا سعيدٌ بالخبرِ ويَقولُ التَّقريرُ الصَّادر في (15) مايو (2019) للميلادِ على موقعِ الحرَّة الإلكتروني ما يلي:

يحتفلُ العالمُ الأربعاءَ باليومِ العالميّ للأسرةِ الذي يُصادفُ الخامسَ عشرَ مِنْ أيار/مايو مِنْ كلّ سنة، وهيَ المناسبةُ التي تُعيدُ فيها الأممُ المُتحدَّةُ التَّذكيرَ بضرورةِ الالتفافِ حولَ الأسرةِ لأنَّها الخليَّةُ الأساسيَّةُ للمُجتمع.

ففي تقديمِها لهذا اليومِ على موقعِها على الإنترنت، كتبتْ الأممُ المتَّحدة "يُتيحُ اليومُ الدَّوليُّ للأسرِ الفرصةَ لإذكاءِ الوعيِ بالقضايا ذات العَلاقة بالأسرِ بما يَزيدُ مِنَ المعرفةِ بالعمليَّاتِ الديمغرافيَّةِ والاقتصاديَّةِ والاجتماعيَّةِ التي تُؤثِّرُ فيها".

وتابعَتْ "مع أنَّ بُنى الأسرِ قد تغيَّرَ في كلِّ أرجاءِ العالمِ تَغيُّرًا كبيرًا في العقودِ الماضيةِ بسببِ الاتِّجاهاتِ العالميَّةِ والتَّغيراتِ الديمغرافية، فإنَّ الأممَ المتَّحدةَ ما تزال تَعترفُ بالأسرةِ بوصفِها: اللِّبنة الأساسيَّة للمجتمع".

"تغيُّرُ بُنى الأسر" الذي أشارتْ إليهِ الأممُ المتَّحدةُ في تقديمِها ليومِ الأسرةِ العالمي، يُسمِّيهِ أستاذُ علمِ الاجتماعِ بجامعةِ تُونس، مُنيب الصَّادق "التفكُّك المُقنَّع" الذي نتجَ عن الانتشارِ الواسعِ لتكنولوجيا الاتِّصال.

وفي اتِّصالٍ مع "الحرة" ربطَ منيبُ الصَّادق بينَ وسائلِ التَّواصلِ الاجتماعيّ وظاهرةِ "الغُربة" التي يَعيشُها العربيُّ داخلَ أسرتِه.

ويَرى الصَّادق أنْ ثمَّةَ جفاءٌ داخلَ الأسرةِ العربيَّةِ جرَّاءَ انتشارِ الهواتف النَّقالةِ وأساليب الاتِّصالِ الحديثةِ في السَّنواتِ الأخيرة.

كما يُركِّزُ المتحدِّثُ على ما يُسمِّيه "غيابُ الحسِّ التَّعاضُدي" الذي كانتْ تؤسِّسُ لهُ الجلساتُ العائليَّة التي "غابَت في السَّنواتِ الأخيرة" على حدِّ وصفِه.

أشارت إحصائيَّاتٌ حديثةٌ إلى ارتفاعِ مُعدَّلاتِ الطَّلاقِ بسببِ الخيانةِ الزَّوجيَّةِ على وسائِل التَّواصلِ الاجتماعي، وهو أمرٌ "يَنخرُ الأسرةَ العربيَّة في صمت" على حدِّ تعبيرِ منيب الصادق.

الإحصائيَّاتُ المتعلِّقةُ بالعامِ 2018 مثلًا، التي أُجرِيَتْ في مناطِق مُختلفةٍ منَ الوطنِ العربي، كشفَتْ تسجيلَ أكثر مِنْ (3500) حالة طلاق مقابل نحو (9000) حالة زواج سُجِّلتْ في السَّنةِ ذاتها، ما يُقاربُ (10) حالاتِ طلاقٍ يوميًّا.

مُختصُّونَ في الأحوالِ الشَّخصية، أكَّدُوا أنَّ التأثُّرَ بالعالمِ الافتراضيّ عبرَ شبكاتِ التَّواصِلِ الاجتماعي، وعدمَ الوعي والإدراكِ لثقافةِ الحياةِ الزَّوجيَّة، والفهمَ الخاطئ للحقوقِ والواجبات، وتراجُع دور الأسرةِ في البناءِ المُجتمعي، أهم الأسبابِ في ارتفاعِ معدَّلاتِ الطَّلاق.

البحثُ الذي أجراهُ أساتذةٌ منْ جامعةِ ورقلة (جنوب الجزائر) بعُنوان: "تكنولوجيا الاتِّصالِ الحديثةِ ونمطُ الحياةِ الاجتماعيَّةِ للأسرةِ الحضريَّةِ الجزائريَّة: أيَّةُ علاقة؟" خلص إلى أنَّ هناكَ تَغييراتٌ جذريَّةٌ في رؤيةِ الفردِ لارتباطهِ العائلي.

البحثُ انتهى إلى أنَّ "الجزائريُّ أصبحَ يَميلُ إلى العُزلة، ويكتفي باتِّصالٍ صوتيٍّ أو مَكتوبٍ ليُترجمَ اهتمامَهُ بأهلِه" وهو نوعٌ منَ الغربةِ التي تَحدَّثَ عنها الأستاذُ بجامعةِ تونس منيب الصَّادق.

أمَّا الحلولُ المُقترحة، بحسبِ الباحثينَ الجزائريّينَ فتتلخَّصُ في التَّوعيةِ بالمسؤوليَّةِ الاجتماعيَّةِ تجاهَ الرَّوابط الأسريَّة، وبالتَّركيزِ على الوازعِ النَّفسيّ للأفرادِ والجماعات.

انتهى التقرير.

الانفصالُ بحسبِ رؤيَتي بدايةٌ جديدةٌ حدَّدَها العقلُ الأيسرُ بتدَبُّرٍ وأبرمَ صفقةً رابحةً مع الإنسانِ الذي واجَهَ ذاته قبلَ أنْ تسرِقَ منهُ الحياةُ ما تبقَّى منْ سنين حياته، وبالنِّهايةِ يَجبُ أنْ نُوقفَ العلاقاتِ بكلمةٍ واحدةٍ فقط:

بكفي.

20

[لم يَعُد هناكَ مُتَّسعٌ منَ العمرِ للاستمرار]

(أنا على يقينٍ بأنَّني سَأُجَن، ولا أظُنُّ بأنَّنا قادرونَ على الخوضِ في تلكَ الأوقاتِ الرَّهيبةِ مرَّةً أخرَى، كما لا أظُنُّ بأنَّني سأتَعافى هذهِ المرَّة، لقد بدأتُ أسمعُ أصواتًا، وفقدتُ قُدرتي على التَّركيز، لذَا سأفعلُ ما أراهُ مناسبًا، لقد أشعرتَني بسعادةٍ عظيمةٍ ولا أظُنُّ أنَّ أيَّ أحدٍ قد شعرَ بسعادةٍ غامرةٍ كما شعَرنا أنا وأنتَ سويةً إلى أنْ حلَّ بي هذا المرضُ الفظيع، لستُ قادرًة على المقاومةِ بعدَ الآن وأعلمُ إنَّني أُفسدُ حياتَكَ ومِنْ دوني ستَحظَى بحياةٍ أفضل، أنا متأكِّدةٌ مِنْ ذلك، أتَرى؟ لا أستطيعُ حتَّى أنْ أكتبَ هذهِ الرِّسالة جيِّدًا، لا أستطيعُ أنْ أقرَأ، جلُّ ما أريدُ قولَهُ هوَ أنَّني أدينُ لكَ بسعادَتِي، لقد كنتَ جيِّدًا لي وصبورًا عليَّ وجميعهم يَعلمُ ذلك، لو كانَ بإمكانِ أحدٍ ما أنْ يُنقِذَني فسيكونُ

ذلكَ أنت، فقدتُ كلَّ شيءٍ عدا يَقيني بأنَّكَ شخصٌ جيِّد، لا أستطيعُ المُضيِ في تَخريبِ حياتِكَ ولا أظُنُّ أنَّ أحدًا شعَرَ بالسَّعادةِ كما شَعَرنا بها)

رسالةُ "فيرجينيا وولف" قبلَ أنْ تَنتحر.

الآن سوفَ تَسألُني مَنْ فيرجينيا هذه يا تُرى؟

معكَ حقٌ أنا غبيٌّ في ثقافةِ الانتحارِ ربَّما، لأنَّ المُنتحرَ سيذهبُ إلى عالمِ الوهمِ الجهنميّ ولكنْ سوفَ أكتبُ لكَ لمحةً طيِّبة عن فيرجينيا:

كاتبةٌ إنجليزيَّةٌ مِنْ مواليدِ (15) يناير عام (1882م)، لها العديدُ منَ الأعمالِ التي تَتميَّزُ بطابعِها السِّحريّ والمُثيرِ للجدلِ مِنْ بينِها "المدام دالواي و الأمواج".

بعدَ أنْ أنهَتْ روايتَها "بينَ الأعمال" والتي نُشرِتْ بعدَ وفاتِها، أصيبَتْ فيرجينيا وولف بحالةِ اكتئابٍ مُشابهة لتلكَ الحالةِ التي أصابَتها مُسبقًا نتيجةً للعديدِ مِنْ حوادثِ الموتِ المُتعاقِبة في حياتِها، وازدادَتْ حالتُها سوءًا بعدَ اندلاعِ الحربِ العالميَّةِ الثَّانية وتَدمِير منزلِها في لندُن حتَّى أصبحَتْ عاجزةً عن الكتابة، وفي (28) مارس (1941م) ارتدَتْ فيرجينيا وولف معطفَها وملأتْهُ بالحجارةِ وأغرَقتْ نفسَها في نهرِ أوز، وُجدَ جسدُها بعد أسبُوعينِ منَ الحادثةِ وقامَ زوجُها بدفنِ رفاتِها واضعًا على قبرِها آخرَ جُمَلِها في روايتِها "الأمواج":

سأقذفُ نفسي أمامَكَ غير مقهورةٍ أيُّها الموت، ولَنْ أستسلِم!

إنَّها هربَت مِنْ جنونِ الدِّماغِ الأيمنِ نحوَ الموت، لأنَّ ثقافةَ الموتِ ليسَتْ مُرعِبة، ثقافةُ التَّخويفِ مِنَ الموتِ

هيَ المُرعبة، إنَّها فكرةٌ جميلةٌ إنهاءُ الحياةِ بطريقةٍ لا تَضُرُّ بالآخرينَ بلْ ربَّما تَنفعُ صاحبَها أو تَنفعُني، كلَّ يومٍ صباحًا آخذُ بينَ (8) إلى (11) كبسولة فقط لتحسينِ المزاجِ وقبلَ النَّومِ أيضًا أفعلُ ذلكَ فقط مِنْ أجلِ أنْ أنام، لسببٍ صغيرٍ جدًّا أنَّني ضيَّعتُ ثلاثينَ عامًا على الخيالِ مُتجاهلًا نفسي ومُتعبًا منَ الجلوسِ على طاولةِ الذَّاتِ

وأنا أحاولُ إرضاءَها طيلةَ اليوم، وهي حزينةٌ مُختليةٌ بألمِها وشاحبةٌ بوحدتِها، أقولُ لها طيلةَ الوقت:

أنا آسفٌ!

لا تُلقِي نظرةً علي، تُديرُ ظهرَها أكثرَ عن وجهي، وكلَّما اقتربتُ منها نفرَتْ منِّي

وباشرَت بالأنينِ والبُكاء، صمتتْ ذاتي الحزينة وحِواري معَها، إلى الآن لمْ تتوصَّل لمصالحةٍ ذاتيَّةٍ تُريحُني وتَرضَى عنِّي، أحاولُ معرفةَ الوقتِ الذي

أدبرتُ ظَهري لها على مدارِ ثلاثينَ عامًا وأسألُ خيالي:

هل يُعقلُ بأنَّها تُريدُ أنْ تَقتصَّ منِّي على مدارِ ثلاثينِ عامًا؟ على مبدأِ العامُ بالعامِ

والإدبارُ بالإدبارِ والحركاتُ قِصاص، يا ويلَ قَلبي إنْ لم ترضَ ذاتِي عنِّي، لأنَّني لنْ أستعملَ معَها عدمَ المُبالغَة، إنَّها بحاجَتي فعلًا وأنا بحاجةٍ لإرضائِها،

وبينَ عدمِ رِضايَ ورِضاها يَسيرُ الوقتُ كلمحِ البصر، لو كانَ هُنا آينشتاين سوفَ يَخرجُ بنسبةٍ ضوئيَّة خرا، ويا محلا الخرا أمامَ تأنيبِ ضميركَ الذي هوُ جزءٌ لا يَتجزَّأُ منَ الذَّات، تَدارَكوا الذَّاتَ قبلَ أنْ تَقسمَ حياتَكَمْ إنْ عدتُم لها.

(أنا فعلًا آسفٌ يا أنا)

السبت /6/يونيو/ 2020 للميلاد.

الساعة 12:01 بعد الظهر.

بتوقيتِ العاصمة فيينا في منزلي الأخضر.

زهير أبو سعد.